وزارة التعليـم العالــي و البحــث العلمــي
جامعــة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم -
كلية الأدب و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي
تخصص الأدب و الحضارة
بعنوان

التفسير البياني للقرآن الكريم
كتاب التعبير القرآني لفاضل السامرائي أنموذجا

من إعداد الطالبة:
بن عائشة يمينة

تحت إشراف الأستاذ
كمال بلخوان

السنة الجامعية: 2014 - 2015

إهداء

إلى الذي رأيته بين النّاس رجلا وبين الرجال أميرا وبين الأمراء ملكا فربّعته على عرش قلبي، إلى من تسري روحه في دمي وصورته في خيالي وأشواقه تنير دربي، إلى من علّمني أنّ الحياة أساسها العقل الراجح والضمير النّقي والخلق الراقي، إلى من اعتبرته خيرة الأهل والصحب، إلى عزيز غلاؤه فاق كلّ الأحباب، إلى زوجي عبد الرحمن.

شكر

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ... الحمد لله ذي المن و الفضل و الإحسان ... إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلى بطاعتك ... و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

فلك الحمد حمدا كثيرا مباركا فيه كما يليق بجلالك وعظيم سلطانك.

أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز هذا البحث.

كما أتقدم بأسمى معاني التقدير و الامتنان و الشكر الجزيل للأستاذ المحترم **« بلخوان كمال »** الذي أطرني و ساعدني كثيرا.

﴿ وَ لَقَد ضَّرَبْنَا للنَّاسِ فِي هَذَا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُون

قُرءَانًا عَرَبِيًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُون ﴾

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده، و نستعينه، و نستغفره، و نستهديه، و نعود بالله من شرور أنفسنا و من سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، و الصلاة و السلام على نبينا محمد الذي اكمل به النعمة وجلَّ به الرسالة، رافعُ لواءِ الهدى صلى الله عليه و على آله و صحبه و الداعين بدعوته. و بعد:

القرآن الكريم كتاب الإسلام الخالد كرّم الله به الانسان وشرّفه و جعله معجزة العقل و القلب و الفكر و الوجدان معجزة حيّة قائمة لا تنقضي بانقضاء العصور.

و قد أقرّ المفكرون و العلماء و الأدباء من قديم الزمان بأن القرآن نمط من القول غير مسبوق. و شهدوا بما له من سحر التأثير و روعة البيان و كمال الإعجاز، هو معجزة الإسلام الخالدة ... معجزة الاسلام الباقية... معجزة الاسلام الحيّة ... وما خلوده ولا بقاؤه ولا حياته إلّا لأنّه كلام الواحد الذي لا يموت.

له جلال من جلاله، و قوّة من قوّته، و بهاء من بهائه، و جمال من جماله، حارت العقول في فهم سرّه، وتاهت القلوب في فيض نوره و جماله، و ما الفرق بينه وبين كلام البشر إلّا كالفرق بين الله و سائر المخلوقات.

هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

كلُّ من قرأه يجد في كلِّ مرّة معانٍ جديدة تسبق إلى قلبه، و تغزو عقله و تُؤَكِدُّ عجزه عن الاتيان بمثله. فتعددت الدراسات القرآنية، و كثرت التفاسير التي تهدف الى فهم هذا الكتاب و بيان معانيه، فكان التفسير البياني جزء من هذه التفاسير؛ يهدف إلى فهم إعجاز القرآن و إيضاح نواحيه البلاغية و تذوق أسراره البيانية ليبرز الجمال البياني و يكشف في أسرار التعبير القرآني.

وفي بحثنا هذا تعرضنا لهذا النوع الخاص من التفاسير و هو التفسير البياني للقرآن الكريم و ذلك من خلال جهود أحد المعاصرين في هذا العلم و هو الدكتور **فاضل صالح**

السامرائي العراقي و كتابه **التعبير القرآني**، فكان البحث بعنوان **:" التفسير البياني للقرآن الكريم. كتاب التعبير القرآني لفاضل السامرائي انموذجاً".**

و ممّا لا شك فيه أنّ هذا الموضوع من الموضوعات الهامة في حياة أيّ مسلم، فشرف العلم ينتسب لشرف ما يتعلّق به، وعلوّ شأن التفسير، لعلوّ شأن كتاب الله ومكانته عند الله، وأنا أحببت كتاب الله وعلمت أنّ من الأسباب الجالبة لمحبّة الله كثرة تدبّر آياته. قال الله تعالى: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب"[1]

وأحببت أيضا الدكتور السامرائي من خلال متابعتي لبرنامجه التلفزيوني **"**لمسات بيانيّة**"** الذي يوضّح بعض أسرار التعبير من نصوص التنزيل.

لهذه الأسباب وأخرى ، اخترت أن يكون **"**التفسير البيانيّ**"** موضوعا لبحتي الذي انتهجت فيه المنهج الاستقرائي.، فاستقرأت التفسير والبيان ،وقرأت بعض كتب التفسير منتهية إلى كتاب "التعبير القرآني".

فما هو التفسير البياني؟ وما الجديد الذي أضافه السامرائي إلى التفسير البياني في كتابه التعبير القرآني؟

وللإجابة على هذه الإشكاليّة قسّمنا بحتنا إلى فصلين ،وكلّ فصل إلى مبحثين تناولنا في الفصل الأوّل ما هو نظري فكان بعنوان: التفسير البياني مفهومه وتطوّره ، حيث تطرقنا فيه إلى تعريف البيان والتفسير والتفسير البياني، إضافة إلى ضوابط وخطوات هذا النوع من التفسير. و أمّا المبحث الثاني فكان عن التطوّر التاريخي لهذا النوع من التفسير، فكانت البداية ع الرسول صلّى الله عليه وسلّم ،ثمّ بعض الصحابة والتّابعين، وهكذا إلى العصر الحديث مع تفاسير عائشة عبد الرحمان، وفاضل صالح السامرائي وغيرهم.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان: التعبير القرآني عند فاضل صالح السامرائي وهو أيضا مقسّم إلى مبحثين،عنوننا المبحث الأوّل بالسامرائي ومنهج الدراسة البيانيّة، تحدّثنا فيه

[1] سورة ص، الآية:29.

عن السامرائي وكتابه التعبير القرآني، وعن منهجه في التفسير البياني عموما، ومنهجه في كتاب التعبير القرآني خصوصا.

وأمّا المبحث الثاني فعنوناه بالدرس البياني في كتاب التعبير القرآني لسامرائي، وكان عبارة عن دراسة تطبيقيّة لبعض ما جاء به السامرائي في كتابه، فتطرّقنا إلى التعبير القرآني و بنيته، و التقديم و التأخير ،و التشابه و الاختلاف.

وفي الأخير، ختمنا بحثنا بخاتمة هي خلاصة ما توصّلنا إليه من خلال هذه الدّراسة.

وخلال إنجازي لهذا البحث لم تصادفني صعوبات تذكر فهو موضوع كثرت فيه الدراسات، فتعدّدت المصادر والمراجع التي تتحدث عن القرآن وبيانه وتفاسيره. وقد استفدت منه كثيرا. نذكر من أبرزها: الكشّاف للزمخشري، وخطوات التفسير البياني للبيومي، وتفسير الطبري، وتفسير الرازي، وكتابا الإعجاز البياني والتفسير البياني لعائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، ولمسات بيانيّة وبلاغة الكلمة في التعبير القرآن، و من أسرار البيان القرآني لفاضل صالح السامرائي الذي يعدّ من أبرز المحدثين العراقيّين الذين تحدّثوا عن هذا الموضوع بدلالة كثرة مؤلفاته التي تتناول التعبير القرآني، سواء ما يخصّ الجملة أو المفردة أو النصوص، وأهمّها كتاب التعبير القرآني الذي هو محور دراستي هذه، والتي أقدّمها في آخر مرحلة من مراحل الجامعة لنيل درجة "الماستير" في اللّغة والأدب العربي.

كما أرجو أن يتحقّق الهدف من هذا البحث، وهو معرفة البعض و لو القليل من أسرار البيان القرآني.

فهذا جهدي الخاص بين يديك، فإن أصبت فالخير أردت ولي أجران، وإن أخطأت فحسبي أن لي أجر المحاولة والاجتهاد وأسأل الله تعالى أن يجعله لبنة صالحة مفيدة والفائدة مرجوة والنفع مؤمل والمتعة منشودة.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب. والحمد لله فاتحة كلّ خير وتمام كلّ نعمة.

وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه ونطوره.

المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم أولية.

- تعريف البيان.
- تعريف البيان القرآني.
- تعريف التفسير.
- تعريف التفسير البياني.
- ضوابط التفسير البياني.
- خطوات التفسير البياني.

المبحث الثاني: التفسير البياني – نشأته وتطوره

- بداية التفسير البياني (ظهور الفكرة).
  - محمد صلى الله عليه وسلم أول مفسري القرآن.
  - عمر بن الخطاب.
  - عبد الله بن عباس مجاهد بن جبر.
- انتقال فكرة التفسير البياني إلى علم التفسير البياني.
- اتساع وشمول التفسير البياني.
- بعض ملامح التفسير البياني.
- الفرق بين التفسير البياني والإعجاز البياني.

المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم أولية.

1. البيان:

أ. البيان في اللغة:

أصل البيان في اللغة الظهور والكشف والوضوح وقد جمع المعجم هذه المعاني، فبان الشيء: اتضح واستبان الشيء : ظهر.

وقد وردت لفظة البيان في القرآن الكريم بمعناها اللغوي ومن ذلك قوله تعالى: "هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين" [1] تعني الإيضاح وقوله تعالى:"الرحمن ، علّم القرآن، خلق الإنسان علّمه البيان"[2].

وفي البيان تميز عن سائر الحيوان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير.[3]

وأطلق البيان على الرجل، فكان البيّن من الرجال هو الفصيح، السمح اللسان، وبهذا صار البيان فصاحة، وصار الكلام البيّن هو الفصيح، أي تداخل معنى البيان والفصاحة، ومن ثم قيل: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ ،وهو من حسن الفهم، وذكاء القلب مع اللسن.[4]

فالبيان إذن: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، أي إيراد المعنى مرة بطريقة التشبيه، وإيراده ثانية من طريق المجاز، وثالثة من طريق الكناية وهكذا.

---

[1]-سورة آل عمران، الآية: 138

[2]-سورة الرحمن، الآية 1-4

[3]-الزمخشري ، الكشاف، ج 4 ، ص 43

[4]-محمد كريم الكواز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت، ط1 ،2006، ص 33.

إنه باختصار "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة، متفاوتة في وضوح الدلالة."[1]

ب. البيان القرآني:

وردت كلمة (البيان) في القرآن الكريم بمعنى الظهور والإيضاح قال تعالى:" هذا بيانٌ للناس وهدىً وموعظة للمتقين"[2] وقال: " فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه"[3]

إلا في قوله تعالى: "الرحمن علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان"[4]

فإن البيان هنا يدّل على تفرد الإنسان بمزية البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير.

والبيان عند الجاحظ على معنيين:

الأول عام **:** ينطلق من كون البيان وسيلة إفهام.

والثاني: يرادف معنى البلاغة والقول الجميل، وفيه يظهر التفاوت بين الناس في التعبير.

وينشأ التفاوت في البيان من التفاوت في الأسلوب وقدرة التعبير على التأثير في نفوس السامعين. وقد ورد البيان بهذا المعنى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"إنّ من البيان لسحرا، وإنّ من الشعر لحكمة" ومعناه أنّ الرجل يكون عليه الحق، وهو أقومُ بحجته من خصمه، فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه[5].

وأسلوب القرآن معجز ببيانه، وهو ليس من تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم كما يدعي أعداء الإسلام، وإنّه نزل بلسان عربي مبين.

---

[1]-ينظر محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع البيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان ط 1، 2008، ص138.

[2]-سورة آل عمران، الآية 138.

[3]-سورة القيامة، الآية 18، 19.

[4]-سورة الرحمن، الآية 1،4 .

[5] _ مهد كريم كراز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم ، ص44.

قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمان"بنت الشاطئ":

" وقد شغلتني قضية الإعجاز البياني دون أن أتجه إليه قصدا، فأثناء انشغالي بالتفسير البياني والدراسات القرآنية، تجلّى لي من أسراره الباهرة ما لفتني إلى موقف العرب من المعجزة القرآنية في عصر المبعث، ووجهني إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، وقد تحّداهم والعربية لغته ولغتهم والبيان طوع ألسنتهم، وهم بلا ريب قد أدركوا من أسرار إعجاز البيان ما أيأسهم من محاولة الإتيان بلفظ يقوم مقام اللفظ فيه، أو أن يأتوا بآية على غير الوجه الذي جاءت به في البيان المعجز."[1]

2. التفسير:

أ.لغة: التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى:" ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيرا"(الفرقان :33) أي بيانا وتفصيلا وهو مأخوذ من الفسر، وهو الإبانة والكشف.

- **قال الفيروز آبادي:**

"الفسر : الإبانة وكشف المغطى كالتفسير ، والفعل كضرب ونصر"

- **قال ابن منظور:**

"...والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"

- **قال أبو حيّان:**

"...ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرتً الفرس عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف.فكأنّه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"

[1]– عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، 1971، ص 11

وعلى ذلك : فالمادة تدور حول معنيين:

الكشف المادي المحسوس، والكشف المعنوي المعقول.

وقيل أن أصل الكلمة من التّفسرة، وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علّة المريض.كما يكشف المفسّر عن شأن الآية وقصتها.[1]

ب. إصطلاحا:

عرفه "**السيوطي** قائلا:"هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، وبيان مُحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، ونحو ذلك"[2]

- **و يعرفه الزمخشري:**

"التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ."[3]

ومنه فإن التفسير علم كسائر العلوم، له تعريفه وموضوعه ومسائله وغايته.

أمّا تعريفه فهو العلم الباحث عن تبيين دلالات الآيات القرآنية على مراد الله سبحانه وتعالى، وبعبارة أخرى هو إزالة الخفاء عن دلالة الآية على المعنى المقصود.

وأمّا موضوعه فهو كلام الله سبحانه وتعالى المسمّى بالقرآن الكريم الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

---

[1]- ينظر، الزمخشري، الكشاف، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض ، مكتبة العبيكان ،ج 1 ، ص 39

[2]-ينظر ، نفس المصدر

[3]-ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 40

وأمّا مسائله فهي ما يستظهر من الآيات بما أنّه مراده سبحانه وتعالى.

وأمّا الغرض منه فهو الوقوف على مراده سبحانه وتعالى في مجالي المعارف والمغازي والقصص واستنباط الأحكام الشرعية منه.[1]

وأمّا فائدته فهي حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة.

3. تعريف التفسير البياني:

التفسير البياني عبارة عن اتجاه خاص يهدف إلى فهم إعجاز القرآن وإيضاح نواحيه البلاغية بعيدا عن شطط التأويل والأقاويل، كما يستهدف تذوق أسرار البيان بالنظر الدقيق لمدلولات ألفاظ القرآن، وعلى أساس التدّبر الشامل للنظم القرآني الذي تلمح من خلاله المعجزة البيانية الخالدة، وينبغي إدراك وجود التناسق والتشابه بين كلمات القرآن وألفاظه، ومدى توازنها وترتيبها ومدى مناسبتها لما سبقها وما لحقها من الآيات.[2]

فهو بذلك يتوقف على إبراز الجمال البياني الذي يتمثل في نظم الآيات وإدراك وجوه التناسق بين الألفاظ والكلمات أي الكشف في أسرار التعبير القرآني من الناحية الفنية.

بالنسبة للسامرائي:

فإن التفسير البياني جزء من علم التفسير الذي يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه. (وأما التفسير البياني فهو التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير)[3]

---

[1]-ينظر ، جعفر السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، مؤسسة الإمام الصادق، ص 11 و 12

[2]-جمال الدين الفاروقي، الإعجاز البياني للقرآن الكريم،

[3]-السامرائي على طريق التفسير البياني، ج1 ، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2002 ، ص 07

وحسب ما تدّعيه الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ فإنّ هذا المنهج –أي التفسير البياني-ابتكره أستاذها الأمين الخولي المصري وهو عبارة عن:

استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة ثم سياقها العام في المصحف كلّه التماسا لسره البياني.[1]

4. ضوابط هذا المنهج:

حسب عائشة عبد الرحمان فإن هذا المنهج شرحه أستاذها الإمام **"أمين الخولي"** في كتابه الجليل (مناهج تجديد) وقد جعل له ضوابط يمكن تلخيصها فيما يلي:[2]

- التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن، ويُبدأ بجمع كلّ ما في الكتاب المُحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.
- ترتّب الآيات فيه حسب نزولها، لمعرفة ظروف الزمان والمكان كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية دون أن يفوت المفسّر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.
- في فهم دلالات الألفاظ مع التقدير بأن العربية هي لغة القرآن، فتلتمس الدلالة اللغوية الأصلية التي تعطينا حسّ العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسّية والمجازية، ثم يخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدّبر سياقها الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القرآن كلّه.
- وفي فهم أسرار التعبير يحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصّا وروحا، ويُعرض عليه أقوال المفسّرين فيقبل منها ما يقبله النص.

---

[1]–عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، من مقدمة ط 1

[2]–عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ ،التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر عام 1977، ط 5 ،ج 1، ص 10 و 11 باختصار

5. خطوات التفسير البياني:

يُحدثنا الدكتور فاضل السامرائي عمّا يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني فنعرف أدواته المهمة والعلوم التي ينبغي أن يملك نواصيها قبل أن يتصدّى لهذا العمل الجليل. وبحسبه هو فإن الذي يتصدى للتفسير البياني يحتاج ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير العام إلا أنه بحاجة أكثر إلى الأمور الآتية:[1]

- التبحر في علوم اللغة من نحو وصرف ولغة وبلاغة فلا تُغني المعرفة اليسيرة ، بل ينبغي للمفسّر البياني أن يكون على اطلاع واسع في علوم اللغة، وحاجة المفسّر إلى هذه العلوم واضحة لا تخفى.
- معرفة القراءات القرآنية وأسباب النزول.
- النظر في السياق: فإن ذلك من ألزم الأمور للمفسّر عموما وللمفسّر البياني على الخصوص، فبالسياق يتضح كثير من الأمور ويتضح سبب اختيار لفظة على لفظة أخرى وتعبير على تعبير آخر، ويتضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة، فالسياق من أهم القرائن التي تدّل على المعنى الصحيح، وعدم النظر في السياق قد يوقع في الغلط أو عدم الدقة في الحكم.
- مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير الذي يُراد تبيينه ليستخلص المعنى المقصود...
- مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.

[1]-ينظر، السامرائي على طريق التفسير البياني، ج 1، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2002 ، ص 9 بإختصار.

- أن يعرف المفسّر أنّ هناك خصوصيات في الاستعمال القرآني كاستعمال الريح للشّر والرياح للخير والغيث للخير والمطر للشرّ والعيون لعيون الماء، والصوم للصمت، والصيام للعبادة المعروفة وغير ذلك.

- أن ينظر في الوقف والابتداء، وأثر ذلك في الدلالة والتوّسع في المعنى أو التقيد فيه وما إلى ذلك.

- أن يسترعي نظره أي تغيير في المفردة والعبارة ولو كان فيما يبدو له غير ذي بال فإنه ذو بال فإن وجد له تعليلا فذاك، وإلا فسيأتي من يُيسّر الله له تعليله وتفسيره.

- إدامة التأمل والتدّبر وهما من أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معانٍ جديدة ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالتدبّر في كتابه فقال تعالى:" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها".[1]

- أن يكون قد اطلع على جملة صالحة ممّا كتبه من تقدمه من مشاهير المفسّرين ونظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابه وتناسب الآيات والسور وما إلى ذلك مما كتب في أسرار التعبير القرآني فإنّ فيها أسرارا بيانية وفنية بالغة الرفعة.[2]

- وأساس ذلك كلّه الموهبة فإن الموهبة أساس كلّ علم وفن وصنعة فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن على ألا يعتمد على الموهبة وحدها بل عليه أن يُنميها ويصقلها بكثرة الإطلاع والنظر والتدقيق والتأمل.[3]

---

[1]-محمد ، الآية 24

[2]-السامرائي، المرجع السابق ص 13

[3]-المرجع السابق، ص 14

المبحث الثاني: التفسير البياني: النشأة والتطور

1. بداية التفسير البياني (ظهور الفكرة):

محمد صلى الله عليه وسلّم أول مفسري القرآن:

لقد نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفصح الناطقين وأبلغ القائلين ليتولى تفسيره وتأويله امتثالا لقول ربّه:"وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم" [1] فكان صلى الله عليه وسلّم أوّل من فسّر القرآن بيانيا.

والرسول العربي المبين بفطرته الصافية وسليقته الهادية يعرف مكان الحسن في البيان ومواضع الزلل في القول، فكان يوصي بإرشادات أدبية تدّل على اتجاهه الفني إذ ينهى عن التشاذق والثرثرة والتفيهق، وتكلف الأسجاع المرذولة فكان يقول:" إياي والتشاذق" ويقول:" أبغضهم التي الثرثارون المتفيقهون" ثم يعقب على بعض من تكلّف في السجع في مخاطبته فيقول:"أسجع كسجع الكهّان".

وإذا كان القرآن الكريم أرفع أنماط البلاغة العربية دون استثناء فقد تعرّض الرسول الكريم في تفسيره إيّاه لتوضيح كثير من تشبيهاته وكناياته وذلك من البلاغة العلمية في صميم الصميم"[2]

نماذج عن بعض التفسيرات البيانية للرسول صلى الله عليه وسلّم:[3]

- لما نزل قول الله عزّ وجلّ في آية الصيام" وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" سأل عدّي بن حاتم رضي الله عنه أهما الخيطان المعروفان، فقال صلى الله غليه وسلم : بل هما سواد الليل وبياض النهار"

---

[1]-سورة النحل، الآية 44

[2]-البيومي، خطوات التفسير البياني، مجمع البحوث الاسلامية ، 1981 ص 11

[3]-المرجع نفسه ، ص 12

منتقلا بذلك من الحقيقة إلى المجاز فشبه بالخيط الأبيض ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق، وبالأسود ما يمتد معه من غيش الليل.

- حين نزل قول الله في سورة الواقعة:" وتجعلون رزقكم أنّكم تكذبون" فسّر النبي صلى الله عليه وسلّم الرزق بالشكر، آخذا ذلك من سياق السورة الكريمة التي تعدد بعض النعم التي اختص الله بها عباده، ففسّر الرزق بالشكر، وهو من المجاز المرسل في باب السببية والمسببية كما هو معروف.

- لمّا نزل قول الله عزّ وجلّ "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" شق ذلك على المسلمين فقالوا:يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه ،فقال عليه الصلاة والسّلام: ليس ذلك وإنّما هو الشرك ،ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه:" يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" وتفسيره صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك جاء على سبيل المجاز.[1]

ومن هنا نرى أن بداية التفسير البياني ترجع إلى عصر نزول الوحي غضا طريا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو العصر الذي تنفست فيه المعاني البيانية في الجو البلاغي الذي كان في أوج علّوه على قوم أوتوا البلاغة وتحدّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا.وكان صلى الله عليه وسلم أوّل من زرع بذرة التفسير البياني.

عمر بن الخطاب:

أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مُستنأُ برسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيره البياني، فقد روى أئمة الأدب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر قوله تعالى:" أو يأخذهم على تخوُفٍ"[2] ثم قال : ما تقولون فيها، أي في معنى التّخوف، فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا، التخوّف التنقّص فقال عمر : وهل تعرف العرب ذلك في

[1]-البيومي، نفس المرجع ، ص 13
[2]-النحل، الآية 44

كلامها؟ قال : نعم قال: أبو كبير الهذلي: تخوّف الرحل منها تامِكا قرِدا: كما تخوّف عود النبعة السفن فقال عمر: "عليكم بديوانكم لا تضلوا، هو شعر العرب فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم".

فكان عمر بهذا سببا في نمو بذرة التفسير البياني التي زرعها الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه.

عبد الله بن عبّاس:

هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حظي بدعوة رسول الله له حين قال صلى الله عليه وسلم:" اللهم علّمه الكتاب والحكمة" وفي رواية"اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل" واستجيبت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان عبد الله بن عبّاس "ترجمان القرآن".

لقد امتلك ابن عبّاس أدوات المفسّ، فكان عالما بأسرار العربية، يحفظ الكثير من الشعر القديم ويحث الناس على النظر فيه قائلا:"إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي"[1].

وقد أُلِفَ بعض الكاتبين في تاريخ التفسير أن يجعلوا ابن عبّاس صاحب الرأي الخاص بتفسير القرآن تفسيرا لغويا يرجع فيه إلى شعر العرب.

نماذج من تفسيرات ابن عبّاس:

روى ابن جرير في تفسير قوله تعالى:" أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كلّ الثمرات وأصابه الكبر وله ذريّة ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون" [2] أن عمراً رضي الله عنه سأل الناس

[1]-ينظر، الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق، ص 56

[2]-سورة البقرة ، الآية 266

عن هذه الآية فما وجد أحدا يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه:يا أمير المؤمنين إنّي أجدُ في نفسي منها شيئا،فتلفت إليه، فقال: تحوّل ها هنا لم تُحقِرُ نفسك؟ قال: هذا مثلٌ ضربه الله عزّ وجلّ فقال أيودُ أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كلّه فحرقهُ أحوج ما كان إليه.[1]

و هذا الشاهد من باب الاستعارة التمثيلية.

أتى عبد الله بن عمر سائل فسأله عن تفسير قول الله عزّ وجلّ :"أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ" فقال اذهب إلى ابن عبّاس ثم تعال فأخبرني، فذهب فسأله فقال: كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبث ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال قد كنت أقول ما تعجبني جرأة ابن عبّاس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنّه أوتي علماً.[2]

وهذا لشاهد من باب الكناية.

روى البخاري عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال:

كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، وقال: لم يُدخل هذا معنا وإنّ لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من أعلمكم. ثم دعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنّه دعاني يومئذ إلاّ ليُريهم. فقال: ما تقولون في قول الله تعالى :" إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّابا" فقال بعضهم أمرنا أن نحمده ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا، فقال: أكذاك تقول يا ابن عبّاس؟ فقلت : لا، فقال: وما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى

[1]-تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر، ط 2، مكتبة ابن تيمة، القاهرة، ج 5 ، ص 541

[2]-ينظر، البيومي، خطوات التفسير البياني ص 19 و 20

الله عليه وسلّم أعلمه الله له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك، فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّابا. فقال عمر لا أعلم منها إلاّ ما تقول.[1]

وهذا الشاهد من باب الكناية أيضا.

وبهذا فإن ابن عبّاس هو من روّى بذرة التفسير البياني التي زرعها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ونمّاها عمر بن الخطاب. وقد نهج تلاميذ ابن عبّاس نهجه، وكان أكثرهم نتاجا في هذا الاتجاه "مجاهد بن جبير".

مجاهد بن جبير:

هو مجاهد بن جبير، أبو الحجاج القرشي ، المخزومي، أحد أئمة التابعين والمفسرين، وهو من خاصة أصحاب ابن عبّاس، كان شغوفا بالعلم وخاصة التفسير .

روى الفضل بن ميمون عن مجاهد أنه قال: عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاثين مرة، ويقول أيضا: عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت، وكيف كانت.

كان مجاهد رضي الله عنه يعطي عقله حرية واسعة في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو ظاهرها بعيدا، فإذا مرّ بنص قرآني من هذا القبيل، وجدناه ينزله بكل صراحة ووضوح على التشبيه والتمثيل، وتلك الخطة كانت فيما بعد مبدأ معترفا به ومقررا لدى المعتزلة في تفسير القرآن بالنسبة لمثل هذه النصوص.[2]

ومن المعروف عنه أنّه كان يستن بإمامه عبد الله بن عبّاس في التفسير البياني.

[1]-البيومي، خطوات التفسير البياني، ص 21

[2]-ينظر ، الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق ص 63 و 64

نماذج من تفسيرات مجاهد:

- روى ابن كثير عن مجاهد قال في قوله تعالى:" وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" [1] قال: أمّا الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرزق ، وأمّا الباطنة فما ستر من العيوب والذنوب.
- وقال في قوله تعالى:" ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" [2] قال: من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين.[3]

هذه النماذج الأربعة تمثل بذرة التفسير البياني التي أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون في عصر كان فيه الوحي غضا طريا فهذه المرحلة نستطيع أن نقول عنها أنها مرحلة التأسيس أو البداية الأولى لهذا المنهج وكان هدفها تحدي الكفار أن يأتوا بمثل ما أتى به القرآن من البيان والبلاغة.

ثم تنتقل هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى طلعت مع مطلع القرن الرابع الهجري وهي انتقال فكرة التفسير البياني إلى علم التفسير البياني.

2. انتقال فكرة التفسير البياني إلى علم التفسير البياني:

تبدأ هذه المرحلة من مطلع القرن الرابع الهجري، حيث نشأ فيها علم البلاغة القرآنية أو علم أساليب البيان في القرآن، أو علم النظم القرآني، وكانت الوقفة أمام التعبير القرآني نفسه، وأساليب البيان المعجز فيه، ومظاهر النظم الدقيق.[4]

---

[1]-لقمان ، 20

[2]-الحجرات، 11

[3]-الزمخشري، الكشاف ، المصدر السابق ص 64

[4]-توفيق عليعلي زبادي، بحوث وصفية للأوجه المتجددة لبيان القرآن وإعجازه، مركز بحوث القرآن، جامعة مالايا بماليزيا، 22-2012/02/23 ص10.

عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز):(ت 471):

وخير من يمثل هذه المرحلة كتاب عبد القاهر الجرجاني"دلائل الإعجاز" فهو كتاب (قدّم فيه صاحبه نظريته في النظم، تلك النظرية التي ترتكز بعمق على سياقات القرآن البلاغية، وتستخرج منها أصولا للبلاغة في أسمى درجاتها كما عرض المؤلف لمسائل بلاغية أخرى مثل: التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحقيقة والمجاز، ثم ختم القرآن بنماذج تحليلية تبرز أهمية النظم)[1]

الزمخشري (الكشاف) :(ت 538):

الكشاف كتاب تفسيري يكشف عن وجوه الاعجاز القرآني البلاغية والأسلوبية واللغوية، احتشد له مؤلفه ليخرجه في أبهى حلّة بيانية وهو أشهر تفاسير المعتزلة الذي أبان به المؤلف وجود الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم لإلمامه بلغة العرب ومعرفته بأشعارهم وإحاطته بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب فأضفى ذلك في تفسيره لآيات الله تعالى وحسن البيان.

وكان الكشاف أوّل تفسير يكشف عن سرّ بلاغة القرآن ووجوه إعجازه ودقة معانيه في ألفاظه، ممّا كان له الأثر الكبير في عجز العرب عن معارضته والإتيان بمثله.

وبهذه الدراسات أصبح البيان القرآني علما يسمّى "علم البيان القرآني" أو " النظم القرآني" أو "التعبير القرآني" أو البلاغة القرآنية"[2]

[1]-موقع الايمان / www.al –emam.com يوم 10-06-2014 على الساعة 07:00

[2]-شبكة مشكاة الإسلامية، نبذة عن كتاب الكشاف للزمخشري من الإنترنت الموقع: www.almeskat.net

3. اتساع وشمول التفسير البياني (منهج التفسير البياني):

نشطت الدراسات الأدبية لنصوص الكتاب الكريم في عهدنا الراهن نشاطا حافلا نرجو أن يتزايد ويمتد حتى يصبح للمكتبة القرآنية مكانها اللائق في دنيا "البيان".

فقد انتهج جماعة من المفسرين في العصر الحديث منهجا جديدا في التفسير البياني للقرآن الكريم، وقد بدأت بذور هذا الاتجاه في التفسير تظهر في تفسير محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي لكن جهودهم في هذا الصدد لا تتعدى الإشارات واللمحات العابرة.

(أمّا الولادة الحقيقية للتفسير البياني وتبلور أصوله النظرية، وتدشين تلك الأصول في تجارب تفسيرية فقد تبلورت على يد الشيخ: "أمين الخولي" وتلامذته، حيث أصّل أمين الخولي بعض المرتكزات المنهجية لهذا الاتجاه في بحثه الذي كتبه تعليقا على مادة "التفسير" في" دائرة المعارف الإسلامية".

ثم توّسع في بيانه في بحوث أخرى، وتمثلت تلميذته الدكتورة "بنت الشاطئ" شيئا من هذه المرتكزات في كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم" أوردت في مطلعه مستخلصا لضوابط التفسير التي رسمها أستاذها أمين الخولي واستندت إليها في تفسيرها [1] لبعض سور القرآن الكريم.

فتناولت في الجزء الأول منه تفسير السور"الضحى، الشرح، الزلزلة، النازعات، العاديات، البلد، التكاثر"، كما تناولت في الجزء الثاني تفسير السور التالية "العلق، القلم، العصر، الليل، الفجر، الهمزة، الماعون".

نذكر باختصار هذه الضوابط –فقد سبق وأشرنا إليها في عنوان سابق:

- التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن.

[1]–الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن، موقع التبيان، الأربعاء 11 جوان 2014 على الساعة 08:30 www.Tebyan.net

- ترتيب الآيات حسب نزولها.
- فهم دلالات الألفاظ.
- فهم أسرار التعبير.

لا شك أن التفسير البياني نمط بديع بين التفاسير، إذ لا يماثل شيئا ممّا أُلّف في القرون الماضية من زمن الطبري إلى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الإمام محمد عبده وتفسير المراغي، فهذا النمط لا يشابه التفاسير السابقة، غير أنه لون من التفسير الموضوعي أوّلا وتفسير القرآن بالقرآن ثانيا، والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآني في كلّ مواضع وروده في الكتاب.

وبعبارة أخرى، يهتم المفسّر في فهم لغة القرآن بالتتبع في جميع صيغ هذا اللفظ الواردة في القرآن الكريم ثم يخرج من ضمّ بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللغوي الأصيل.

هذا النمط من التفسير يغني عن كثير من الأبحاث اللغوية التي طرحها المفسّرون ، لأن المفسّر في هذا النمط يريد أن يستخرج معنى اللفظ من التدّبر في النص القرآني مع الاستعانة أيضا بمعاجم اللغة العربية وكتب التفسير فلا بد من الدقة في خصوصيات الآية وجملها ومفرداتها.

بعض ملامح التفسير البياني:

القرآن الكريم كلام الله المنزّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولبيانه روائع عديدة نذكر من بينها:

التركيب:

تتمثل روائع القرآن الكريم في تركيب كلمات آياته ووضعها في مكانها اللائق،والكلمات هي اللّبنات الأساسية في بناء اللغة، وهي تمنح المؤلف القوّة والجمال، فالخيال وحده لا يُغني عن المبدع كما لا تنفعه أفكاره و رؤاه إذا كان ضعيفا في اختيار

الكلمات ذات الرنين، بل أكثر من ذلك، فقدرة التعبير المطلق تحتل الصدارة في تقييم الأعمال الإبداعية، ومنه فالاختيار الإلهي لكلمات القرآن ينبغي أن نستعرضه من هذا المنطلق فهو ليس مجرّد كتاب أدبي، بل هو الأدب كلّه، لا يبلغ أدب الأدباء مبلغه من الحسن والجودة والجمال والتأثير ولو بدّلنا كلمة مكان كلمة لاختل النظام القرآني وتدهور نغمه. [1]

وعلى سبيل المثال:

قال تعالى:" فما لهم من التذكرة مُعرضين كأنّهم حُمُرٌ مستنفرة فرّت من قسورة" [2] كلمة قسورة في الآية جاءت بمعنى "الأسد" ولو وضح الثانية –أي الأسد- مكان الأولى – أي قسورة- علما بأنها الأقرب إلى الإفهام فإن التوازن بين الآيات يفسد وتفقد الآية روعتها وجمالها، كما أن تركيب هذه الآيات يعرض أهوال الحمر التي تحاول التخلّص من قبضة الأسود.

فكلّ كلمة في السياق القرآني تلمع كما تلمع النجوم، هذا بفضل مناسبتها ووصفها في مكانها اللائق.

التناسق والترتيب:

وتتمثل روائع القرآن أيضا في التناسق والترتيب بين الكلمات، نذكر مثلا:

(السمع والأبصار والأفئدة) التي ورد ذكرها في سياق النعم الإلهية التي يتنعم بها كل إنسان، والآية الواردة فيها هذه الكلمات تبقى أوسع مجالا للجمال البياني من حيث اللغة والعلوم.

---

[1]-مجلة الوعي الإسلامي يوم 17-06-2011 على الساعة 04:30
http :alwaei.gov.kw/site/pages/childrendetails.aspx

[2]-المدّثر ، 49 - 51

قال تعالى:" والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون".[1]

وقال:" وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون"[2]

وقال:" ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون".[3]

وقال أيضا:" قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون"[4]

ذكر الله السمع في كل هذه الآيات في أوّلها، علما بأن حاسة السمع هي التي تعمل أوّلا في الطفل الجنين و لا يعمل العقل والفكر، إلا بعد فترة من ميلاده.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الجنين يستطيع أن يسمع ويحس الأصوات الخارجية. والكلمة - أي السمع - وردت مفردة على عكس الأبصار والأفئدة وفي ذلك أيضا سرٌ من أسرار الخلق الإلهي،إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يسمع أكثر من صوت واحد في الوقت الواحد، بينما يستطيع أن يرى أشياء كثيرة بلمح البصر.

والفؤاد هو الآخر يحتوي على مجموعة مختلفة من العواطف والمشاعر فهي إذن كلمات تنطق بمعانيها.

حتمية المعنى :

بعض الكلمات القرآنية قد لا يوجد مثيلها في اللغة ولها معنى حتمي لا ينبغي لغيرها فمثلا كلمة المطر والغيث.

---

[1]-النحل ، 78

[2]- المومنون ، 78

[3]-السجدة ، 9

[4]-الملك ، 23

فكثير من الناس يظن أن "المطر" يقصد به الماء النازل من السماء فتسقى به الأرض لتنبت نباتها.والحقيقة أن كلمة مطر لم تستعمل في القرآن إلا بمعنى العذاب أو الأذى[1]

فتأمل قوله تعالى:" وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كانت عاقبة المجرمين"[2]

وفي قوله أيضا:" فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل" [3] وغيرها من الآيات.

أمّا كلمة الغيث فيراد بها الماء النازل من السماء لسقي الأرض والأنعام نحو قوله تعالى:" وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الوّلي الحميد"[4]

ولا يمكن معرفة هذا الفرق إلا من خلال البيان القرآني الذي يكشف النواحي البلاغية والنكت الإبداعية لآيات القرآن وهو كفيل بتوكيد قدسية القرآن وعظمته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

الفرق بين التفسير البياني والإعجاز البياني:

قد يظن الباحث لأول مرة أن التفسير البياني للقرآن الكريم هو نفسه الإعجاز البياني، مثلما حدث لي في بداية بحثي في هذا المجال، ولكن بالدراسات المتعددة والبحوث المختلفة يظهر الفرق جليّا.

[1] موقع القرآن لك www.qu4u.net يوم 2013/06/17 على الساعة 06:00

[2] -الأعراف ، 84

[3] الحجر ، 74

[4] -الشورى ، 28

الإعجاز البياني:

هو موضع التحدّي مع العرب الكفار إذ لم يطلب الله تعالى من الكفار أن يأتوا بعلم كالعلم الذي في القرآن ولا بغيب كالغيب الذي في القرآن، ولا تشريع كالذي في القرآن، وإنّما طلب منهم الإتيان ببيان كالبيان الذي في القرآن.

فقال تعالى :" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّما أنزل بعلم الله وأنّ لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون".[1]

وبقي هذا التحدّي على حاله دون إجابة إلى الآن وإلى الأبد.

فالإعجاز البياني يبحث في البيان القرآني المعجز الذي لا يستطيع الإنسان أن يأتي بمثله، فالمثلية هنا مثلية بيانية.

فهو يقوم على النظم الذي يعتمد على الترتيب لمفردات القرآن الكريم في جُملها من جهة واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة.

أمّا **التفسير البياني** فيبحث في الكشف عن أسرار التعبير القرآني من الناحية الفنية.

[1]-هود ، 13،14

الفصل الثاني: التعبير القرآني عند فاضل صالح السامرائي

المبحث الأول: السامرائي ومنهج الدراسة البيانية

- نبذة عن حياة الدكتور فاضل السامرائي.
- لمحة عن كتاب التعبير القرآني.
- التعبير القرآني وليس الإعجاز القرآني.
- منهج السامرائي في التفسير القرآني.
- منهج السامرائي في دراسته للتعبير القرآني.
- لمسة السامرائي في التعبير القرآني.

المبحث الثاني: الدرس البياني في كتاب التعبير القرآني

- التعبير القرآني.
- البنية في التعبير القرآني.
- التقديم والتأخير.
- الذكر والحذف.
- التشابه والاختلاف.

المبحث الأول: السامرائي ومنهج الدراسة البيانية

1. نبذة عن حياة الدكتور فاضل السامرائي: [1]

الدكتور فاضل السامرائي أحد أعلام اللغة العربية في العالم الإسلامي وصاحب المذهب الجديد في النحو وقد اختط لنفسه منهجا خاصا في علم اللغة والبيان القرآني وقد بدأت علاقته باللغة العربية منذ صغره حيث كان يحب العربية.

هو فاضل بن صالح بن مهدي السامرائي، من مواليد سامراء 1933 م.

أخذه والده منذ نعومة أظافره إلى مسجد حسن باشا أحد مساجد سامراء لتعلم القرآن وكشف ذلك من حدة ذكاءه، حيث تعلم القرآن في مدة وجيزة.

مسيرته العلمية حافلة بالانجازات، حيث في عام 1953 م عين معلما ثم أكمل الماجستير وكان الأول على دفعته، وهو أول من أخذ الماجستير باللغة العربية من بغداد وكانت حول ابن جني النحوي.

نال شهادة الدكتوراه عام 1968 م من جامعة القاهرة ثم عاد إلى العراق وعين عميدا لكلية الدراسات الإسلامية، وهكذا كان ينتقل من منصب إلى منصب أعلى منه.

في عام 1998 م أحيل إلى التقاعد من التعليم العالي، بعد ما قضى ما يقارب 40 عاما في التدريس للنحو في جامعة بغداد.

لديه برنامج تلفزيوني "لمسات بيانية" على قناة الشارقة وهو برنامج يشرح الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

لديه عدة كتب منها " لمسات بيانية في نصوص من التنزيل "و " التعبير القرآني " و " بلاغة الكلمة في التعبير القرآني " و " نبوة محمد من الشك إلى اليقين" و " كتاب على طريق التفسير البياني ".

كما تتلمذ على يده تلامذة كثيرون وبخاصة من نالوا شهادات عليا (الماجستير و الدكتوراه) وأشرف على رسائلهم.

أمد الله في عمره وزاده علما وفهما بكتابه العزيز.

[1] - ويكيبيديا الإخوان المسلمين.

2. لمحة عن كتاب التعبير القرآني:

كتاب "التعبير القرآني" لكاتبه فاضل صالح السامرائي هو الكتاب الأول ضمن الدراسات البيانية في الأسلوب القرآني يهدف لتأكيد إعجاز القرآن وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله، فهو دليل يشير من خلاله الكاتب إلى شيء من مواطن الفن والجمال ويبصر بقسم من أسرار التعبير.

فالتعبير القرآني كما يرى المؤلف " تعبير فني مقصود كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله " وهو في غاية البلاغة والإعجاز والإحكام في الفن والعلو في الصنعة.

والدكتور فاضل صالح السامرائي بما حبّ الله من حب القرآن وسعة الأفق وطول باع في الدراسات اللغوية ينبري لدراسة النص القرآني مبينا مكامن البلاغة والإعجاز موازنا بين الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير والتقديم والتأخير والذكر والحذف مبينا مقاصد الحق ودلالات التعبير، وهو يعرض كل ذلك بلغة مبينة دقيقة تقرب المعنى من الإفهام وتفصح عن غاياته بإحكام فيقول: « وعملت على أن يكون كتاب التعبير القرآني ميسور الفهم لمن يقع في يديه، غير أنه لا شك أنه سيكون أوضح في الحجة وأبين في الاستدلال لمن كان له بصر باللغة ومعرفة بأحكامها ». [1]

وقد بين أن ألفاظ القرآن لم توضع عبثا ولا من غير حساب بل هناك نظام دقيق وبنيان محكم ينظمها جميعا، فلقد وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم بنفس عدد مرات ورود كلمة (الآخرة) 115 مرة، كما أن لفظ (الشهر) تكرر 12 مرة بعدد شهور السنة، وأن لفظ (اليوم) تكرر 365 مرة بعدد أيام السنة، وأن لفظ (الأيام) تكرر 30 مرة بعدد أيام الشهر.

فالقرآن الكريم له خصوصيات في استعمال الألفاظ، وقد حض الكثير من الألفاظ باستعمالات خاصة به بهدف إيضاح مقاصد خاصة بالتعبير القرآني، ناهيك عن الاستعمال

[1] - فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، جامعة الشارقة، 2002 م، ص 07.

الرياضي الإحصائي للألفاظ. أما من حيث التصوير الفني والتنظيم فلا أحد يشك في دقة تصويره وروعة نظمه وعذوبة وقعه على الأسماع والقلوب.

وقد ضم الكتاب مباحث عدة فبينت الصفحات الأولى متانة التعبير القرآني وبلاغته، ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن البنية في التعبير القرآني، التقديم والتأخير، الذكر والحذف. إضافة إلى مسألة التوكيد في القرآن الكريم والتشابه والاختلاف وفواصل الآي، كما عرض لموضوع الحشد الفني في القصص القرآني، ثم اختار طرفا من القصص القرآني لتوضيح ذلك فعرض لقصة آدم في سورتي البقرة والأعراف، وفي سورتي الأعراف وص وقصة سيدتا موسى عليه السلام في سورة البقرة والأعراف، وفي الأعراف والشعراء، إضافة إلى تفسير سورة التين.

فعند تصفحك لموضوعات الكتاب المتنوعة ستبهرك جماليات العرض، وتأسر لبك الدقة العالية في اختيار الكلمات في القرآن، وبمناسبة اللفظة والحرف للمقام الذي جاء فيه وتدهشك البلاغة الرفيعة والتناسب المدهش على الرغم من الاختلاف والتشابه بين الآيات. يحتوي فهرس الكتاب بعد المقدمة على ما يلي:

التعبير القرآني، البنية في التعبير القرآني، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، التوكيد في القرآن الكريم، التشابه والاختلاف، فواصل الآي، السمة التعبيرية للسياق، الحشد الفني، الحشد الفني في القصص القرآني، تفسير سورة التين.

في المقدمة يتحدث المؤلف عن سبب كتابته لهذا الكتاب، فقد كان يسمع كثيرا عن إعجاز القرآن، وأنه أعلى كلام وأنه لا يمكن مجاراته وغيره من الكلام الذي كان يظهر له في بداية الأمر على أنه غلو ومبالغة وأنه فقط رأي بعض المتعصبين لهذا الدّين.

لذلك قرر أن يتفرغ لدراسة النص القرآني، وبعد موازنات بين كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير والتقديم والتأخير، والذكر والحذف وما إلى ذلك من أمور لغوية وبلاغية رَاعَهُ ما رأى فيه من الدقة في التعبير والإحكام في الفن والعلو في الصنعة، فقد وجد تعبيرا فنيا مقصودا، حسب فيه لكل كلمة حسابها، بل لكل حرف، بل لكل حركة.

وفي الأخير انتهى إلى حقيقة مسلمة وهي أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر وأن الخلق كلهم أولهم وآخرهم لو اجتمعوا أن يفعلوا مثل ذلك ما قدروا عليه ولا قاربوه.

وهو مع كل ذلك يدعو القارئ للإنصات إلى العقل مصدر الإلهام الرباني فيقول: « وأنا لا أطلب من القارئ أن يسلم بهذه الحقيقة فإن هذا طلب لا مطمع منه لمجرد القول والادعاء، وإنما أطلب منه أن يخلع عنه جلباب العصبية وينظر بروح علمية مجردة، وأنا لا أشك في أنه سيصل إلى ما وصلت إليه ». [1]

هذا الكتاب إذن به من الحكمة ما يوجه عقلك كي تتدبر سبل البيان في كتاب الرحمن.

3. التعبير القرآني وليس الإعجاز القرآني:

يسعى السامرائي إلى بيان بعض جوانب أسرار القرآن الكريم، لأن جوانب جليلة أخرى ظلت وستظل بعيدة المنال عن أي دراسة حفرية تزعم لنفسها السبق المعرفي والمنهجي لهذا السفر العظيم.

فلا يستسيغ أستاذنا باستعمال مفردة "إعجاز" في عناوين مؤلفاته فحينما اقترح عليه بعض من اطلع على كتاب (التعبير القرآني) باستبدال عنوانه من (التعبير القرآني) بـ (الإعجاز القرآني) ردّ بقوله:

« هذا عنوان أكبر مني وأنا لا أستطيع أن أنهض ببيان الإعجاز القرآني ولا بشيء منه وإنما هو دراسة في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني العظيم الذي لا تنتهي عجائبه ». [2]

وفي معرض حديثه عما تقدمه الدراسات المعاصرة من أعمال في مجال الإعجاز القرآني: « إننا ندل على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير الفني الرفيع ونضع أيدينا على شيء من سمو هذا التعبير ونبين أن هنا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر... ومع ذلك لا نقول أن هذه هي مواطن الإعجاز وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد، و إضاءات توضع في الطريق، تدل السالك على أن هذا القرآن كلام فني مقصود ». [3]

---

[1] - إبراهيم فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، دائرة المكتبة الوطنية، الأردن، ط 4، عام 1998، من التقديم، ص 02.

[2] - إبراهيم فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، من المقدمة، ص 01.

[3] - المرجع نفسه، ص 03.

فينبغي في نظره الاحتراز من إطلاق الأحكام العامة أو الجزم بالحقيقة الواحدة بل ينأى بنفسه على استعمال مفهوم (الإعجاز) بوصفه أكبر مما يتصوره العقل البشري مهما اجتهد وتقدمت مجالات علمه القليل. وقد أخبر القرآن عن عجز الجن والإنس وكان أمرا مقضيا.

«فمن إعجاز القرآن أن يظل مطروحا على الأجيال، تتوارد عليه جيلا بعد جيلا، ثم يبقى أبدا رحب المدى سيخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمع، عاليا يفوق طاقة الدارسين».[1]

يذكر الله تعالى أمورا تعجز البشر لكنه تعالى تحدى الإنس والجن بسورة (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) والسورة تشمل قصار السور مثل الكوثر.

وآيات الإعجاز والتحدي ليس فيها إخبار علمي ولا تشريع أو إخبار عن أمر خاص ولا أمر مستقبلي، ويوجد في القرآن الكريم إعجاز كثير، أخبرنا الله تعالى بأمور ستحصل وحصلت لكن الله تعالى تحداهم بالإعجاز. فالإعجاز لا ينحصر بهذه الأمور ولا آيات التحدي تنحصر بهذه الأمور.

فهذه الدراسات إذن ليست إعجاز فالإعجاز أكبر من ذلك بكثير، إنما هذه دراسات في البيان القرآني يستخلصها أهل اللغة والبلاغة بالنظر والتدبر في التعبير القرآني.

4. منهج الدكتور السامرائي في التفسير البياني:

اعتمد الدكتور السامرائي منهجا في تناول التعبير البياني منثورا في كتبه وفي برنامجه لمسات بيانية نجمعه منها كالتالي:

استعانته بالله الفتاح العليم في استجلاب الفهم الخاص في كتابه الكريم:

فقد صرح في برنامجه لمسات بيانية على أنه قبل كتابته لكتاب التعبير القرآني ذهب في عمرة وشرب ماء زمزم ودعا الله تعالى فقال: « ربّ افتح لي في كتابك فتحا مباركا إنك أنت الفتاح العليم ».

ثم في رحلته للحج شرب من ماء زمزم أيضا ودعا الله تعالى فقال: « ربّ افتح لي من خزائن علمك ما تشاء »، ثم جاء للكعبة وتعلق بأستارها وقال: « أسألك أن تفتح لي في

[1] - عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، عام 1971 م، القاهرة، ص 13.

كتابك فتحا مباركا إنك أنت الفتاح العليم، وافتح لي من خزائن علمك فتحا مباركا ». وقد كان معلقا بأستار الكعبة وبعدها بدأ يرى الأمر وكأنه بدأ يتيسر.[1]

اعتماده في أحكامه واستنباطاته على القواعد المقررة والأصول الثابتة للغة:

يقول -حفظه الله- ومن المهم أن أذكر ههنا أنني في أحكامي واستنباطاتي اعتمدت على القواعد المقررة والأصول الثابتة في اللغة ولم أخرج عنها، وقد حاولت أن أنأى عن التعليل الذي لا يقوم على أساس من مسلمات اللغة وأحكامها.

التسيير في عرض ما فتح الله عليه في التفسير البياني للعامة والخاصة:

يقول -حفظه الله- « لأن الناس ليس لديهم إطلاع على المسلمات اللغوية وليس لديهم معرفة بأحكام اللغة وأسرارها ومن الصعب أن يهتدي هؤلاء إلى أمثال هذه المواطن من غير دليل يأخذ بأيديهم يدلهم على موطن الفن والجمال ويبصرهم بأسرار التعبير ويوضح ذلك بأمثلة يعونها ويفهمونها ».[2]

التعليل لأسرار التعبير القرآني:

فالتعليل لأسرار التعبير القرآني هو ما أضافه الدكتور السامرائي إلى من سبقوه في منهجية التفسير البياني للقرآن الكريم. فقد كانت دراسته تعتمد على إجراء موازنات بين النصوص القرآنية ومعرفة نقاط التشابه والاختلاف فيما بينها.

الاستفادة من السابقين له في التفسير البياني:

للدكتور السامرائي نصيب كبير في الإطلاع على كتب التراث، وقد أجاب مرة عن مراجعه بأنها لا تتعدى كتب علوم القرآن من الرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي وبدائع الفوائد لابن القيم وكتب المتشابهات كملاك التأويل والبرهان في متشابه القرآن ودرة التنزيل

[1] - برنامج لمسات بيانية، الحلقة 127.
[2] - التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ص 07.

إلى جانب عدد من كتب التفسير ولعل أهمها الكشاف للزمخشري (رسالة الدكتوراه للسامرائي بعنوان الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري عام 1968 م).

النظر في السياق القرآني:

يعتمد الدكتور السامرائي بكثرة على أثر السياق في اختيار اللفظ القرآني في ذلك الموضع عن غيره، والمجيء بذلك الأسلوب عن غيره إذ يحتل السياق الجزء الأكبر في أغلب كتبه وتعليلاته ونجد هذا في مواضع شتى من كتبه كتعليل البنية، وتعليل التقديم والتأخير والذكر والحذف والتوكيد والتشابه والاختلاف وفواصل الآيات وغيرها.

مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها:

فهو لا يحكم على استعمال المفردة القرآنية إلا بعد جمع الآيات التي وردت في سياقها ثم تفسير استعمالها ومعانيها ودلالاتها.

فهم والتدبر القرآن:

يقول –حفظه الله- وكلما أمعنت في التدبر فتح الله عليك من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار ما لم يكن منك على بال، والتدبر والتفكر في كتاب الله وأسرار تعبيره من ألزم الأمور للقارئ والمفسر. [1]

5. منهج السامرائي في دراسة التعبير القرآني:

اعتمد السامرائي في دراسة التعبير القرآني على المنهج العلمي ليكون كلامه أكثر إقناعا، فقد درس النص القرآني جيدا وأجرى موازنات من كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير والتقديم والتأخير والذكر والحذف وما إلى ذلك من أمور لغوية وبلاغية ومعنوية فقد عمد إلى المنهجين: الإحصائي والمقارن.

[1] - لمسات بيانية، ص 46.

- **الإحصائي:** عندما يعدد السّور التي تضمنت عدد الأفعال والأسماء والحروف مع طبعها باللمسات البيانية التي تضمنتها والأسرار التي حوتها مع إيجاد التعليلات وذكر الأسباب ورصد الحكم من وراء هذا اللفظ دون غيره.

وينطلق من قناعة مفادها أن (الألفاظ العربية كما يدل البحث التاريخي كانت عرضة للتبدل الذي اقتضاه الزمان، وتقلب الأحوال والنظم الاجتماعية، وما الألفاظ الإسلامية إلا لون من ألوان هذا التطور الذي عرض للفظة العربية البدوية القديمة فاستحالت شيئا آخر يقتضيه الدّين الجديد والبيئة الجديدة) [1]، وتدليلا على ذلك تأمل قوله تعالى: « وَاَللهُ مُحِيطُ بِاَلْكَافِرِينَ » [2]، وقوله: « إِنَّ اَللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » [3]، وقوله كذلك: « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِاَلْكَافِرِينَ» [4].

هنا كلمة "محيط" تخرج عن المعنى القاموسي الحرفي الضيق للدلالة إلى معاني أخرى أسمى لا تخطر ببال بشر، أمام الذات الإلهية التي تتجاوز إحداثيات الزمان والمكان المعهودين وتكسر الأحياز البشرية المتعارف عليها. فهي إحاطة تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا تدركه الأبصار والقلوب وهو بكل خلق عليم.

- **المقارن:** عندما يوازن بين المفردة القرآنية وغيرها من كلام البشر ومختلف استعمالاتها في البلاغة العربية وكيف أن القرآن الكريم استعمل المادة نفسها فأخرجها من نسيج غير مألوف لم يعهده العرب وغير العرب من ذي قبل ولا يمكن أن يحدث إلى يوم الدّين.إنه منهج يصلح للحجاج ويناسب منطق الإقناع والاقتناع.

فترى الدكتور السامرائي يعقد جدول مقارنة بين مواضع القصص القرآنية المتشابهة في محاولة لتقريب المواضع المشتركة في القصة الواحدة والمذكورة في مواضع متفرقة لأنه يرى أن القرآن « لا يذكر القصة على صورة واحدة بل يذكر في موطن ما يطوي ذكره في موطن آخر ويفصل في موطن ما يوجزه في موطن آخر ويقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر، بل تراه أحيانا يغير في التعبيرات ونظم الكلام تغييرا لا يخل بالمعنى كل ذلك يفعله حسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام وذلك في حشد فني عظيم

[1] - فاضل صالح إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي والتاريخي، دار الأندلس، عام 1997، ص 47.
[2] - سورة البقرة من الآية: 19.
[3] - سورة آل عمران من الآية: 120.
[4] - سورة التوبة من الآية: 49.

» [1]، وقد جاء في كتابه التعبير القرآني مقارنة لقصة أبينا آدم عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف، فيرى الدكتور السامرائي في سورة البقرة أن القصة مبنية على هذين الركنين: تكريم آدم وتكريم العلم، وكل ما فيها من ألفاظ ومواقف إنما هي مبنية على هذا التكريم في حين أن القصة نفسها في سورة الأعراف جاءت «سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم، وفي سياق غضب الربّ سبحانه ولذلك بنيت كل قصة على ما جاء في سياقها » [2] ثم ذهب إلى عقد مقارنة مطولة بين آيات كل سورة للقصة نفسها ومثل ذلك. نفس القصة بين سورتي ص والحجر ومن ذلك قصة موسى عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف من ثم في سورتي الأعراف والشعراء.

كل هذا في مقارنة مبتكرة ربّما استسقى فكرتها من كتب المتشابهات كذرة التنزيل أو البرهان للكرماني، لكن السامرائي وسع الأمر فشمل أغلب الآيات المتشابهات في القرآن الكريم سواء في القصة أو في غير ذلك بتوظيف النحو وأدواته و كان السياق جوهر هذه المقارنات.

من خلال هذين المنهجين نراه يمهد للظاهرة القرآنية المنوطة بالبحث، بذكر ما يقابلها في الاستعمال اللغوي ووفق ما تقتضيه القواعد النحوية والصرفية والبلاغية ليبين كيف انتظمت في النص المقدس بصورة لا يدركها إلا الراسخون في العلم.

6. لمسة السامرائي في التعبير القرآني:

كتاب "التعبير القرآني" هو الكتاب الأول ضمن الدراسات البيانية في الأسلوب القرآني يصب محتواه في بحر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم فيسوق مؤلفه فيه الأمثلة القرآنية و يذكر العلل اللغوية في حذف هذا و زيادة ذاك من دون تكلف في العبارة ولا تعسف في التأويل.

وهو يهدف بهذا كله لتأكيد الإعجاز القرآني من خلال التعليل لأسرار التعبير فيه.

فلم يتوقف الدكتور السامرائي في دراسته للتفسير البياني عند الألفاظ والتعبيرات القرآنية بل تجاوزها إلى محاولة لبيان علة هذه الأسرار الكامنة وراء الإعجاز.

[1] - التعبير القرآني، ص 284.
[2] - التعبير القرآني، ص 287- 288.

وقد كانت دراسته تعتمد على إجراء موازنات بين النصوص القرآنية ومعرفة نقاط التشابه والاختلاف فيما بينها، فيقول: « فَبَدَأْتُ أُجْرِي موازنات بين كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير، والتقديم والتأخير والذكر والحذف وما إلى ذلك من أمور لغوية وبلاغية ومعنوية، وأفحصها فحصا دقيقا فَرَاعَنِي ما رأيت من الدقة في التعبير والإحكام في الفن، والعلو في الصنعة » [1].

[1] - السامرائي، التعبير القرآني، ص 07.

المبحث الثاني: الدرس البياني في كتاب التعبير القرآني.

1. التعبير القرآني:

التعبير القرآني تعبير فريد من نوعه فريد في علوّه وسموه، سيطر على القلوب بروعة بيانه، فهو بسوّره كبرت أم صغرت، وبآياته طالت أم قصرت، وبألفاظه المتعددة مادة غزيرة، هو منبع الأدب الرفيع حيّر الأدباء بما تتحلى به ألفاظه من صفات وخصائص جعلت منه أعلى كلام وأرفعه وقد بهر العرب – وهم زعماء الأدب وأمراء البيان – فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله مع أنّه تحدّاهم أكثر من مرّة فقال الله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرَاهُ، قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلَهُ مُفْتَرَيَاتُ، وَادْعُوا مَنْ اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ».[1]

قال أيضا: « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ التِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةَ أُعِدَتْ لِلْكَافِرِينَ ».[2]

وأكدّ التحدي بقوله: « قُلْ لَئِنْ اِجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنَ لاَ يَأْتُون بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ».[3]

والتحديات القرآنية بهذا الصدد تظل قائمة وباقية فكان من سنّة الله تعالى أن يبقى هذا القرآن ما دامت السموات الأرض، ويبقي تعبيره الفريد المعجزة البيانية الخالدة لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي ولا تبلى جدته ولا يذوب جماله ولا يمله قارئوه ولا سمعوه.

فالله سبحانه وتعالى اصطفى (من ألفاظ اللغة العربية أفصحها وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الإفهام وأمتعها للآذان، وأقواها تأثيرا على القلوب وأوفاها تأدية للمعاني، ثمّ ركبّها تركيبا محكم البنيان لا يدانيه في نسجه كلام البشر لا من قريب ولا من بعيد... فقد جاء وصف المباني وفق وصف المعاني، فالتقى البحران على أمر قد قدر... ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي أنّهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية،كانا

[1] - هود، الآية: 13، 14.
[2] - البقرة، الآية: 23، 24.
[3] - الإسراء، الآية: 88.

سورا منيعا لحفظ القرآن... إنّ نظام القرآن الصوتي في ائتلاف حركاته وسكناته أمر يبهر العقول، ويسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس، بصورة تختلف كل الاختلاف عمّا يجده المتذوق لكلام الناس من نسق وانسجام).[1]

ومن أسرار التعبير القرآني أنّنا كلما قراناه وجدنا في حروفه وكلماته وفي جمله ألحانا لغوية رائعة مؤتلفة ومتناسبة، فعند ترتيل القرآن تجد حروفه متناغمة متسقة، منسجمة تجعل من القراءة مسترسلة وتحدث نظما موسيقيا متلائما مع صفات الحروف ومخارجها.

تنطلق عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" من قناعة مفادها أنّه « ما من لفظ فيه أو حرف يمكن أن يقوم مقامه غيره، بل ما من حركة أو نبرة لا تأخذ مكانها في ذلك البيان المعجز »[2] وهذا ما يتفق معها فيه كلّ من تطرق إلى شيء من الإعجاز البياني للقرآن الكريم فلا يختلف اثنان في أنّ كل شيء من القرآن معجز، فكلّ كلمة فيه معجزة وكل حرف فيه معجز بل كلّ حركة فيه معجزة كيف لا وهو: « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثمَّ فُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ».[3]

وهذا ما يحاول إظهاره الدكتور السامرائي من خلال لمساته البيانية، فيبدوا الرجل مقتنعا إلى حدٍّ كبير بما قاله السلف حول الظاهرة القرآنية (فقد انتبه القدماء إلى أنّ السوّر التي بدأت بالحروف المفردة بنيت على ذلك الحرف، فإنّ الكلمات القافية ترددت في سورة (ق) كثيرا، والكلمات الصادية ترددت في سور (ص) كثيرا).[4]

وقد أشار السامرائي إلى أنّ القدامى استندوا في ذلك إلى الإحصاء فتدارسوا كلّ آية فيه بالمقارنة والتمحيص والتدليل حتى يستقيم منطقهم مع بعض الحكم في التنزيل وعدّوه وجها من أوجه البيان الربّاني، فوصل الدكتور إلى أن مفردات القرآن الكريم لم توضع عبثا بل كلّ حرف وضع بمقدار دقيق، وكل مفردة اقتضاها السياق فأودعتها الحكمة الإلهية من مكنون روعتها وعلو بلاغتها وسحر بيانها، وتبين له ما يأتي:[5]

- أنّ (الدنيا) تكررت في القرآن الكريم بقدر (الآخرة) فقد تكرر كل منهما 115 مرّة.

[1] - محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، مصر، دون سنة، ص 375، 376.
[2] - عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص 286.
[3] - هود، الآية: 01.
[4] - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 11.
[5] - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 12، 13.

- وأنّ (الملائكة) تكررت بقدر (الشياطين) فقد تكرر كلّ منهما 88 مرّة.
- وأنّ (الموت) ومشتقاته تكرر بقدر (الحياة) فقد تكرر كل منهما 145 مرّة.
- وأنّ (الصيف) والحرّ تكرر بقدر لفظ (الشتاء) والبرد فقد تكرر كل منهما 05 مرات.
- وأنّ لفظ (السيئات) ومشتقاتها تكرر بقدر لفظ (الصالحات) ومشتقاتها فقد تكرر كل منهما 167 مرّة.
- وأنّ لفظ (الكفر) تكرر بقدر لفظ (الإيمان) فقد تكرر كل منهما 17 مرّة.
- وتكرر لفظ (كفرا) بقدر لفظ (إيمانا) فقد تكرر كل منهما 08 مرات.
- وتكرر ذكر (إبليس) بقدر لفظ (الاستعانة) فقد تكرر كل منهما 11 مرّة.
- وذكر (الكافرين) تكرر بنفس عدد النار وهل النّار إلاّ الكافرين ؟.
- وأنّ ذكر الحرب تكرر بعدد الأسرى وهل الأسرى إلاّ من أوزار الحرب ؟.
- وأنّ لفظ (قالوا) تكرر 332 مرّة ومن العجيب أن يتساوى هذا مع لفظ (قل) الذي هو أمر الله إلى خلقه.
- وأنّ لفظ (الشهر) تكرر 12 مرّة بعدد شهور السنة.
- وأنّ لفظ (اليوم) تكرر 365 مرّة بعد أيام السنة.
- وأنّ لفظ (الأيام) تكرر 30 مرّة بعد أيام الشهر.

إنّ هذا التسابق العددي لم يكن محض مصادفة وإنّما هو من لدن خبير حكيم، فلا يمكن أن يكون من قول بشر، لأنّ القرآن الكريم أخبرنا: « إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »[1]. وقوله سبحانه وتعالى: « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا »[2].

2.البنية في التعبير القرآني:

إن القرآن الكريم يستعمل بنية الكلمة استعمالا فريدا ورائعا وفي غاية الجودة والدقة والجمال. فعند الوقوف على المفردة القرآنية، يمكننا إدراك الخصوصية التي تمتاز بها عن غيرها من الألفاظ العربية، مع العلم أنها لا تخرج عن مقتضى لغة العرب، من حيث اللفظ

[1] - القمر، الآية: 49.
[2] - الفرقان، الآية: 02.

والمعنى، ولكن طريقة تكوينها ووضعها في سياقها القرآني يجعل لها من التفرد والخصوصية ما ليس لغيرها من ألفاظ العربية. ولهذا لا يمكننا تغيير المفردة بغيرها، وإن كانت مرادفة لها من حيث المعنى، لأن ذلك يفضي إلى إخراجها من إطار الإعجاز البياني الذي يمتاز به القرآن الكريم، ولهذا فإن النظر إلى المفردة القرآنية لا بد أن يراعي النسق والنظم الذي يحكم المفردة والألفاظ القرآنية، ومن ذلك استعمال القرآن الكريم للاسم والفعل. فمن المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، وأن الاسم يدل على الثبوت، نقول مثلا: هُوَ يَتَعَلَّمُ وَهُوَ مُتَعَلِمٌ. فيتعلم يدل على الحدوث والتجدد أي أنه آخذ في سبيل التعلم بخلاف المتعلم فإنه يدل على أن الأمر ثبت وتم وأن صفة التعلم تمكنت في صاحبها.

والقرآن الكريم راعى هذه الدلالة في الاسم والفعل، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: « يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيِّ ذَلِكُمْ اللهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ »[1].

الملاحظ لهذه الآية يرى أنّ الله سبحانه وتعالى قال: « يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتْ » بلفظ فعل (يُخْرِجُ) وقال: « وَمُخْرِجُ اَلْمَيِّتَ مِنَ اَلْحَيَّ » بلفظ اسم الفاعل.

يفسر الزمخشري هذه الآية في كتابه الكشاف بقوله:

« يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ » أي: الحيوان والنامي من النطف والبيض، والحب والنوى. « وَمُخْرِجُ » هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي.

فإن قلت: كيف قال: « وَمُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيَّ » بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله: « يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ ». قلت: عَطَفَهُ على « فَالِقُ الحَبِ وَالنَوَى »، لا على الفعل لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين، من جنس إخراج الحي من الميت، لأن النامي في حكم الحيوان. ألا ترى إلى قوله تعالى: « وَيُحْيِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا »[2]، « ذَلِكُمْ اللهُ » أي ذلكم المحي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية.

« فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ » فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره.[3]

أما أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي فيفسر هذه الآية بقوله:

---

[1] - سورة الأنعام، الآية: 95.
[2] - سورة الروم، الآية: 19.
[3] - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 374 ، 375.

استعمل الفعل مع الحي فقال: (يُخْرِجُ) واستعمل الاسم مع الميت فقال: (مُخْرِجُ)، وذلك لأن أبرز صفا ت الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد. ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات فقال: « وَمُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيَّ ».

وقد تقول: ولماذا قال في سورة آل عمران: « وَتُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيَّتِ وَتُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيَّ » [1] بالصيغة الدالة على التجدد في الموطنين.

فنقول: إن السياق في سورة آل عمران يختلف عنه في الأنعام. وذلك أن السياق في آل عمران هو التغيير والحدوث والتجدد عموما. فالله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء وينزعه منه، ويعز من يشاء أو يذله، ويغير الليل والنهار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وغير ذلك من الأحداث، فالسياق كله حركة وتغيير وتبديل فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والتغيير والحركة.

قال تعال: « قُلْ اللَهُمَّ مَالِكُ الملْكِ تُؤْتِي الملْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الملْكَ مِمَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِ شَيْءِ قَدِير. تُولِجُ الْلَيْلَ فِي النَهَارِ وَ تُولِجُ النَهَّارَ فِي اللَيْلِ وَتُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيَّتِ وَتُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيَّ وَتُزْرِقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب »[2] .

في حين أن السياق في سورة الأنعام مختلف وليس السياق في التغييرات وإنما هو في صفات الله تعالى وقدرته وتفضله على خلقه قال تعالى: « إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِ وَالنَوَى، يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيَّتِ وَمُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيَّ ذَلِكُمْ اللهُ فَأَنَىّ تُؤْفَكُونَ، فَالِقُ الاِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَيْلَ سَكَنًا وَالشَمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ »[3].

فأنت ترى أنه بدأ الآية بالجملة الاسمية وكان مسندها اسما أيضا ثم جاء بعده باسمين آخرين هما (مخرج الميت) و (فالق الإصباح) ثم ذكر أنه (يخرج الحي) بالصورة الفعلية لما ذكرت من حركة الحي بخلاف ما في آية آل عمران من دلالة على التغير والحركة. فالسياق مختلف ولذا تتوالى الأفعال في هذه الآية. فوضع كل صيغة في المكان اللائق بها[4].

[1] - سورة آل عمران، الآية: 27.
[2] - سورة آل عمران، الآية: 26، 27.
[3] - سورة الأنعام، الآية: 95، 96.
[4] - السامرائي، التعبير القرآني، ص 23.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الأنفال: « ومَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهُمْ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ »[1].

فالقارئ أو الناظر لهذه الآية أول ما يلفت نظره فيها يجد في بدايتها قوله تعالى: « يُعَذِبَهُمْ » بصيغة جملة فعلية بينما في تتمة الآية قال: « مُعَذِبَهُمْ » بصيغة اسمية.

وهنا يطرح السؤال لماذا "يعذبهم" ولماذا "معذبهم" ؟.

لمعرفة الفرق نعود إلى سياق الآية فالله تعالى قال: « وَأَنْتَ فِيهُمْ »، (أنت) تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا جاءت بصيغة الجملة الفعلية، بينما جاء الحديث عن الاستغفار بجملة اسمية. ومن المعلوم أن بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم كان بقاءً مؤقتا لذلك جاء بصيغة فعلية، لأن الفعل فيه زمن والزمن قابل للانقضاء.

في حين أننا نجد في تتمة الآية أنه قال: « وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » فجاء بصيغة الجملة الاسمية مع الاستغفار لأن الاستغفار دائم باقٍ معهم.

نلاحظ في هذه الآية أن فيها رسالة من الله سبحانه وتعالى، رسالة مشفرة لا يستطيع فك شفرتها إلا من له علم واسع باللغة العربية.

فلو لم يكن لنا علم كاف باللغة العربية لما عرفنا أنها ترمز إلى أمانين من العذاب، الأمان الأول أمان موقوت ينتهي مع موت الرسول صلى الله عليه وسلم.

والأمان الثاني أمان دائم مع الاستغفار. فهذا من رحمته وكرمه سبحانه وتعالى على عباده.

وفي آية أخرى « وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي القُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ »[2] فإذا كان الظلم صفة ثابتة في هؤلاء القوم فإن هذا الظلم يفضي بهم إلى الهلاك، لكن الاستغفار حتى ولو لم يكن ثابتا يغفر الله تعالى من رحمته. لذلك جاء قوله: « وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » ولم يقل وهم مستغفرون.

فسبحان من وسعت رحمته كل شيء.

هذه الأمثلة تمثل بعض دقائق القرآن الكريم في استعمالاته للبنية. فهو عندما يستعمل الجملة الاسمية ويستعمل الجملة الفعلية فإنه يستعملها في غاية الدقة والجمال في الوقت

[1] - سورة الأنفال، الآية: 33.
[2] - سورة القصص، الآية: 59.

نفسه. فإذا اقتضى السياق دلالة فيها ثبوت يأتي بالجملة الاسمية وعندما يقتضي السياق دلالة فيها تجدد وحدوث يأتي بصيغة الجملة الفعلية.

3. التقديم والتأخير:

يجري الكلام العربي - من حيث الأصل – على وضع الكلمة في موضعها الذي وضعت فيه، ذلك لأن النحاة جعلوا للكلام رتبا، فإذا وضعت الكلمة في غير مرتبتها، دخلت في إطار التقديم والتأخير، ولا شك أن لذلك غرضا ومقصدا. يشمل (التقديم والتأخير) الألفاظ. كتقديم العامل على معموله أو تقديم الألفاظ بعضها على بعض لتأدية أغراض بلاغية، وتوجيه عناية المتلقي إلى لمسات بيانية ذات مقاصد شرعية أو علمية أو أفانين جمالية يتطلبها مقتضى الحال ومناسبة المقام، فيتقدم المؤَخَرُ ويتأخر المتَقَدِم.

يندرج التقديم والتأخير في البلاغة العربية ضمن قسم علم المعاني، فكل تحويل في تراتيبية الجملة ينتج عنه تغيير في المعنى المؤدى، ويحدث أثرا ما يجليه السياق.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: « إن فن التقديم والتأخير، فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظا من معرفة مواقع الكلام، وليس إدعاءً يدعى أو كلمة تقال، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن – كما في غيره – الذروة ووضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب... .

فترى التعبير متسقا متناسقا مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة »[1].

يقسم السامرائي – في كتابه التعبير القرآني – التقديم والتأخير إلى قسمين:[2]

الأول: تقديم اللفظ على عاملة نحو: (خالدا أعطيت) و (بمحمد اقتديت).

الثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، وذلك نحو قوله تعالى: « وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ »[3]وقوله: « وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ »[4].

[1] - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 51.
[2] - المرجع نفسه، ص 49.
[3] - سورة البقرة، الآية: 173.
[4] - سورة المائدة، الآية: 03.

ومثله: (أَعَرْتُ خَالِدًا كِتَابِي) تفيد أنك أعرت خالدا كتابا ولا تفيد أنك خصصت خالدا بالإعارة. و (أَعَرْتُ كِتَابِي خَالِدًا). هذه تفيد أنك خصصت خالدا بالإعارة وأنك لم تعر كتابك أحدا غيره.

قام السامرائي بتقديم تفصيل مهم لهذين القسمين سنتطرق لهما باختصار مركزين على ما ورد في القرآن الكريم.

أولا: تقديم اللفظ على عامله:

ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. وهذا النوع من التقديم يفيد في الغالب الاختصاص.

ومثل هذا التقديم في القرآن الكريم كثير نذكر على سبيل المثال:

قوله تعالى: « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين »[1] .

يرى الزمخشري في هذه الآية أن (الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به، لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم اللات، باسم العزى، فوجب أن يقصد الموحد معنى الاختصاص اسم الله - عز وجلّ – بالابتداء، وذلك لتقديمه وتأخير الفعل... وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى: « قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ »[2]وقوله تعالى:« قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا »[3] والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة)[4].

و دكتورنا السامرائي في تفسيره لهذه الآية يقول: (قدم المفعول به (إيّاك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل: (إِيَّانَا اِهْدِ) كما قال في الأولين، وسبب ذلك أن العبادة والاستعانة مختصان بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به وهذا نظير قوله تعالى: « بَلْ اللهَ فَاعْبُد وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ »[5] وقوله: « وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ

[1] - الفاتحة، الآية: 05.
[2] - الزمر، الآية: 64.
[3] - الأنعام، الآية: 164.
[4] - الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 101 وص 118.
[5] - الزمر، الآية: 66.

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ »[1]. فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى)[2].

فالأصل في هذه الآية نعبدك ونستعينك، ولكن لما كان مقصود القرآن جعل العبادة خاصة بالله وحده والبراءة من غيره من المعبودات جاء التقديم والتأخير ليدل على الحمد والقصر والاختصاص.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: « قُلْ هُوَ الرَحْمَنُ آمَنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَلْنَاَ »[3]. (فقدم الفعل (آمنا) على الجار والمجرور (به) وأخر (توكلنا) عن الجار والمجرور (عليه) وذلك لأن الإيمان كما لم يكن منحصرا في الإيمان بالله بل لا بدّ معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التوّكل فإنه لا يكون إلاّ على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم... قدم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوّكل من العبد على الله دون غيره لأنّ غيره لا يملك ضرّا ولا نفعا فيتوكل عليه) [4].

قد يكون التقديم من هذا النوع – وهو تقديم اللفظ على عامله – يفيد غرضا آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلاّ أن الأكثر فيه أن يفيد الاختصاص.

ثانيا: تقديم اللفظ وتأخيره على غير عامله:

لقد وردت آيات قرآنية كثيرة تخص هذا النوع نذكر منها:

قوله تعالى في سورة النمل: « لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مَنْ قَبْلُ، إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ».[5]

في حين قال تعالى في سورة المؤمنون: « لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مَنْ قَبْلُ، إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ».[6]

[1] - البقرة، الآية: 172.
[2] - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، 49.
[3] - الملك، الآية: 29.
[4] - السامرائي، المرجع نفسه، ص 53.
[5] - النمل، الآية: 68.
[6] - المؤمنون، الآية: 83.

نلاحظ هنا أن الآيتين جاءتا بألفاظ واحدة غير أن الفرق بينهما هو فقط تقديم (هذا) في سورة النمل، وتأخيره في سورة المؤمنون، علما أن الفريقين – أي الكفّار – اتفقا على إنكار البعث وعدّوه أكاذيب وأساطير.

الزمخشري يفسّر هذه الآية بقوله (فإن قلت قدّم في هذا الآية (هذا) على "نحن وآباؤنا" وفي الأخرى قدّم "نحن وآباؤنا" على (هذا) ؟ قلت: التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإنّ الكلام إنّما سبق لأجله، ففي إحدى الآيتين دلّ على أنّ اتخاذ البعث هو الذي تُعُمِّدَ فيه الكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد).[1]

ويقول الدكتور السامرائي عن الآيتين: (فقدم (هذا) في الآية الأولى وأخرها في آية المؤمنون وذلك أنّ ما قبل الأولى « أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا وآبَاؤُنَا، أَ إِنَّا لمخْرَجُونَ ». وما قبل الثانية « أَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَ إِنَّا لمبْعُوثُونَ ».

فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم ترابا، والجهة المنظور فيها هنا كونهم ترابا وعظاما... ذلك أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد، وذلك أنهم أصبحوا ترابا مع آبائهم.

وأما في الآية الثانية فالبلى أقل وذلك أنّهم تراب وعظام فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى، ولذا قدّم (هذا) في الآية الأولى لأنّه أَدْعَى إلى العجب والتبعيد).[2]

يبدو لنا – والله أعلم – أنّ موجب تقديم اسم الإشارة وتأخيره حدّده السياق في الآيتين فله أهمية كبرى في بيان التقديم والتأخير والسياق وهنا يتحدث عن موضوع (البلاء) الحاصل على الإنسان بعد موته، فنجد أن البلاء أصاب الأوّلين أكثر مع آبائهم في سورة النمل عن سورة المؤمنون، والبعث أعجب وأصعب وأعسر في الأولى من الثانية التي هي أقل بلاءً وتعجبا فأصل الكلام في الآيتين نكران البعث علما أنه أشّد في الآية الأولى من الثانية لذلك قدمت الإشارة "هذا" هناك. ولعل الحكمة من ذلك – والله أعلم – هو أن سورة المؤمنون تحدثت عن مقولة الكافرين وعن مقولة آبائهم الأولين، لهذا كان ترتيب الآية: (لقد وعدنا نحن وآباؤنا) فذكرت هذه الجملة للتأكيد على أنّهم مع آبائهم وعدوا بشيء لم يتحقق

[1] - الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 469.
[2] - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 65، 66.

إلى الآن فمدام الله لم يبعث آباءنا الأولين إذن ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم أساطير الأولين قد وعد بها آباؤهم الأولين.

أمّا بالنسبة لسورة النمل فقد تحدثت عن مقولة الكافرين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقط من دون ذكر مقولة الأقوام السابقة لهذا تقدم اسم الإشارة فأصبح المعنى: لقد وعدنا بالبعث من القبور نحن وآباؤنا الأقدمون من قبل رسالة الإسلام وما دام آباؤنا لم يبعثوا إلى الآن إذن ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم هو أساطير الأولين.

(ومن هذا النوع من التقديم قوله تعالى: « وَالسَارِقُ وَالسَارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا »[1] قدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر، وقدم الزانية على الزاني في قوله تعالى: « الزَانِيَةُ وَالزَانِّي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ »[2] لأن الزنا فيهنّ أكثر ألا ترى أن قسما من النساء يحترفن هذه الفعلة الفاحشة ؟).[3]

حينما ذكر القرآن الكريم السرقة نراه يورد السارق (الذكر) مقدما على السارقة (الأنثى) أمّا في الزنا فنراه يورد الزانية على الزاني لأن الأنثى هي سبب الوقوع في الزنا، هذا مثال بسيط على تميز القرآن الكريم بالدقة في اختيار الكلمة، والدقة في اختيار موضعها فإن قدم كلمة على أخرى فلحكمة لغوية وبلاغية تليق بالسياق العام أو يقتضيها المقام فمن ذلك نذكر:

- تقديم غض البصر على الفرج:

قال الله تعالى: « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »[4]. قدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر يريد الزنا ويوصل إليه ولذلك أمر بغضه أوّلا.

[1]- المائدة، الآية: 38.
[2] - النور، الآية: 02.
[3] - السامرائي، التعبير القرآني، ص 59.
[4] - النور، الآية: 30.

- تقديم الجباه ثم الجنوب ثم الظهور:

قال تعالى: « يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ »[1] أنظر كيف قدّم الجباه ثم الجنوب ثم الظهور، ذلك لأنّ مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولا عن السائل، ثم يعرض بجانبه، ثم يتولى بظهره فعوقب بكيّها في نار جهنّم.[2]

- تقديم القتل على الموت وعكسه في نفس الموضع:

قال الله تعالى في سور آل عمران: « وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لمغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ، وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ » [3].

(قدم القتل على الموت في الآية الأولى وقدم الموت في الآية التي تليها وسبب ذلك – والله أعلم – أنّه لما ذكر في الآية الأولى (في سبيل الله) وهو الجهاد قدم القتل في الآية الأولى (في سبيل الله) وهو الجهاد قدم القتل إذ هو المناسب لأن الجهاد مظنة القتل، ثم هو الأفضل أيضا ولذا ختمها بقوله: « لمغفرة من الله ورحمة » فهذا جزاء الشهيد ومن مات في سبيل الله.

ولما لم يقل في الثانية (في سبيل الله) قدم القتل على الموت لأنّه الحالة الطبيعية في غير الجهاد ثم ختمها بقوله: (لإلى الله تحشرون) إذ الميت والمقتول كلاهما يحشره الله إليه، فشتان ما بين الخاتمتين)[4] .

- تقديم رزق الأبناء على الآباء وتقديم رزق الآباء على الأبناء:

قال الله تعالى: « وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ اِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإِيَّاهُمْ »[5] .

وقوله تعالى: « وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خِشْيَةَ اِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ »[6] .

(فقدم رزق الآباء في الآية الأولى على الأبناء وفي الآية الثانية قدم رزق الأبناء على الآباء، وذلك أن الكلام في الآية الأولى موجه إلى الفقراء، دون الأغنياء فهم يقتلون

[1] - التوبة، الآية: 35.
[2] - الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 41. (بتصرف)
[3] - آل عمران، الآية: 157 – 158.
[4] - السامرائي، التعبير القرآني، ص 62، 63.
[5] - الأنعام، الآية: 151.
[6] - الإسراء، الآية: 31.

أولادهم من الفقر الواقع بهم لأنّهم يخشونه، فأوجبت البلاغة تقديم عدتهم في الرزق تكميل العدة برزق الأولاد، وفي الآية الثانية الخطاب لغير الفقراء وهم الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر لا أنّهم مفتقرون في الحال، وذلك أنّهم يخافون أن تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغنى فوجب تقديم العدة برزق الأولاد فيأمنوا ما خافوا من الفقر، فقال: لا تقتلوهم فإنّ نرزقهم وإيّاكم، أي أنّ الله جعل معهم رزقهم فهم لا يشاركونكم في رزقكم فلا تخشوا الفقر) [1].

والأمثلة كثيرة لا يمكننا تناولها جميعا فاكتفينا بهذا القدر لنبين كيف أنّ القرآن الكريم يتميز بالدقة في اختيار الكلمة وموضعها، وأنّ (التعبير القرآني تعبير مقصود كل لفظ فيه وضعا فنيا مقصودا، وأنّه لم يقدم لفظة على لفظة إلاّ لغرض يقتضيه السياق وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كلّه ونظر إليه نظرة واحدة شاملة) [2]، فكان أسلوب التقديم والتأخير إعجاز فيّاض عظيم التدفق لا يقع في حصر، فاستطاع أن يخاطب العقل والوجدان في آن واحد، وهو لا يقف عند حدّ جزيئات اللغة من كلمات وجمل يقدّم بعضها على بعض وإنّما يمتد ليشمل الآيات والموضوعات الكبرى التي جاء في ترتيبها توقيفا من عند الله تعالى، وما كان لآية أن تسبق أختها، أو موضوع هو سابق لأخيه أو كلمة أو حرف إلاّ لنكتة بلاغية ودلالة معنوية يثبتها السياق.

4. الذكر والحذف:

في التعبير القرآني يحذف لفظ وأكثر بحسب ما يقتضيه السياق، فقد يحذف الله سبحانه وتعالى حرفا أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف.كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: (إنّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلاّ لغرض ومن ذلك على سبيل المثال: أنّه يحذف من الفعل للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل. فإذا

[1] - السامرائي، المرجع نفسه، ص 63، 64.
[2] - المرجع نفسه، ص 74.

كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل بل ذكره بأوفى صورة)[1].

يدخل في هذا النوع من التعبير القرآني قسمان:

- ما حذف وأصله أن يذكر، كحذف حرف أو فعل أو اسم ممّا أصله أن يذكر.
- ما ذكر في موطن، ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبيها به لأنّ الموطن اقتضاه.

القسم الأول: ما حذف وأصله أن يذكر:

يقول الله تعالى: « فَمَا اِسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اِسْتَطَاعُوا لَهُ نَقَبًا »[2] هذه الآية قالها ربّنا في السدّ الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب.

نلاحظ (اسطاعوا) الأولى حذف منها حرف التاء بينما بقي في الفعل الثاني (استطاعوا).

يقول الزمخشري في كشافه: (« فَمَا اِسْطَاعُوا » بحذف التاء للخفة، لأن التاء قريبة المخرج من الطاء. وقرئ « فَمَا اِصْطَاعُوا » بقلب السين صادًا، وأمّا من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاقٍ بين ساكنين على غير حدٍّ)[3].

ويقول الدكتور السامرائي: (« فَمَا اِسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ » أي: يصعدوا عليه، فحذف التاء، والأصل (استطاعوا)، ثمّ قال: « وَمَا اِسْتَطَاعُوا لَهُ نَقَبًا » بإبقاء التاء وذلك أنّه لما كان صعود السدّ الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقبه وأخف عملا، خفف الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء، فقال: « فَمَا اِسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ » وطول الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل، فقال: « وَمَا اِسْتَطَاعُوا لَهُ نَقَبًا » فحذف التاء في الصعود وجاء بها في النقب)[4].

في هذا المثال حذفت التاء من فعل استطاعوا وأصلها أن تذكر وهذا كما قال السامرائي والزمخشري لأجل التخفيف ولأنها ناسبت العمل الخفيف.

ومن بين الأمثلة أيضا التي تبين لنا هذه الظاهرة المهمة قوله تعالى في سورة هود: « مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَاَلْأَصَمْ وَاَلْبَصِيرْ وَاَلْسَمِيعْ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَّكَرُونَ »[5].

---

[1] - فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، 1998 م، ص 11.
[2] - الكهف، الآية: 97.
[3] - الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 616.
[4] - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 75.
[5] - هود، الآية: 24.

وقوله في سورة غافر: "وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرْ وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ وَلاَ المسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَّكَرُونَ"[1].

نلاحظ في سورة هود حذف التاء من الفعل تذكرون (للدلالة على أنّ هذا لا يحتاج إلى طول تذكر وتفكير)[2].

فإذا سألت: هل يستوي رجل أعمى أصم ورجل بصير وسميع ؟ فالجواب: كلا لا يستويان ولذلك يأتي الله سبحانه وتعالى – في مقام الإيجاز – بالحدث قصيرا أو مقتطعا.

أما في سورة غافر فجاء بالفعل تتذكرون بتائي، لأنه في مقام التفصيل يأتي بالحدث طويلا تاما – والله أعلم -.

يقول ابن كثير في تفسيره هذه الآية: (أي: لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار " قَلِيلًا مَا تَتَذَكَرُونَ " أي: ما أقل ما يتذكر كثير من النّاس)[3].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي: (أنّ الفرق واضح بين الآيتين، ذلك أنّ آية غافر هذه في الذين كفروا، الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، وهؤلاء لا يرون أنّ المؤمنون أفضل منهم، بل على العكس، فإنّهم يرون أنفسهم أفضل من المؤمنين، فهم لا يقّرون بهذا القول إقرارهم بالآية السابقة خصوصا وأنّه عبر عن الكافر بالمسيء... فهم يحتاجون إلى أطول تذكر وتفكر ليعلموا أنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أفضل من الكافر وأنّ الكافر مسيء... إنّ آية هود ليس فيها خلاف ويستوي جميع عقلاء الخلق في إقرارها مؤمنهم وكافرهم من دون تفكير ولا طول تذكر، ولذا قال في آية هود: " هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً " ولم يقرر ذلك بل ترك الجواب لمن يجيب، وهو معلوم، في حين قررّ ذلك في آية غافر ولم يسأل، فقال: " وَمَا يَسْتَوِي اَلْأَعْمَى وَاَلْبَصِير " لأن جواب هذا السؤال فيه اختلاف وليس بمنزلة السؤال الأول فالفرق واضح بينها)[4].

---

[1] - غافر، الآية: 98.
[2] - السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 19.
[3] - المرجع نفسه، ص 20.
[4] - المرجع نفسه، ص 21.

من هذا المثال ومن الأمثلة المشابهة له التي تجمع بين (تذكرون) و (تتذكرون) و (استطاعوا) و (اسطاعوا) بحذف التاء أو إثباتها نصل إلى أنه بحذف من الفعل لمناسبة المقام، ويذكر في الفعل لمناسبة المقام أيضا وفي مقام التفصيل يأتي بالفعل والحدث طويلا تاما، أما في مقام الإيجاز والاختصار فيأتي بالحدث قصيرًا أو مقتطعا والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهذا كله من روائع البيان القرآني المعجز فيحذف حرفا من بعض ألفاظه في موضع ويذكره في موضع آخر، وكما قلنا فهذا الحذف ليس اعتباطيا ولا مصادفة عشوائية إنما ذكره لحكمة وحذفه لحكمة.

ومن ذلك أيضا الذكر والحذف لبعض كلمات الآية كقوله تعالى في سورة النساء: « يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا »[1] مع أنّ أكثر المنهيات كانت تلي حرف النهي مباشرة كقوله تعالى: « وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ » وقوله: « وَلاَ تَقْرَبُوا اَلْزِنَى » وقوله: « وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ » ... الخ من المنهيات، ففي هذه الآية لم يقل لا ترثوا النّساء كرها بل قال: « لاَ يَحِلُّ لَكُمْ ».

وعند البحث عن نظائر هذه الآية كقوله تعالى: « لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا »[2] يبدوا والله أعلم أن هذه الكلمة إنما تأتي بجانب قضايا كان الناس يزاولونها من دون أن يروا بها بأسا أو حرجا كالقضايا السابقة، بل كانت عادات منتشرة بين العرب.

أما بقية المنهيات الأخرى كالقتل و الزنا وأكل مال اليتيم وغيرها فهي أمور تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة وتنكرها الأعراف السائدة ولا يقرها عقل ولا شرع، لذلك كان النهي عنها مباشرا لما جبل في الفطرة على النفور منها بخلاف الأشياء السابقة المقررة عندهم فتحتاج لترسيخ التحريم ألفاظا قوية حادّة قاطعة.

فانظر إلى جمال التعبير القرآني لهذه الأمور حتى لا يساورها شك في التحريم. فهذه فروق عجيبة في التعبير أعجزت أفصح البلغاء عن معارضته.[3]

[1] - النساء، الآية: 19.
[2] - النساء، الآية: 229.
[3] - إسماعيل الجرفي، الإعجاز البلاغي، موقع جامعة الإيمان، www.jameataleman.org

وقوله تعالى في سورة الأحزاب: « وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَات » لماذا ذكر كلمة فروجهم عند كلامه عن الرجال ولم يذكر عند كلامه عن النساء، وقد يقال إنّ ذلك من باب حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه وهذا من أبواب العربية وهو معروف.

إلاّ أن هناك أمر آخر قد نلمسه في بيان سر الحذف وهو أن الله سبحانه وتعالى لم يمدح النّساء بحفظ الفروج فقط ولكنّه مدحهم بمطلق الحفظ، والمرأة لا ترتقي لهذه الأوجه ولا تصل لهذه الرتبة إلا إذا حافظت على نفسها من كلّ أسباب الغواية، ولو جاء في الذكر الحكيم لفظ (والحافظات لفروجهنّ) لوجدنا المرأة تقبل على الرجال الأجانب وتفعل معهم كل ألوان الزنا المجازي عدى الزنا في الفرج وتقول أنّها حفظت فرجها فتدخل في زمرة الممدوحين في هذه الآية، فهذه المرأة قد وقف النظم القرآني أمامها لأن القرآن لم يرد من المرأة حفظ الفرج فقط ولكن حفظ كل ما من شأنه أن يحفظ، لأنها كلها عورة فحذف المفعول به لتعميم الشمول، وسبحان من نزل القرآن تبيانا لكل شيء، ونلمس هذا الحذف قد يكون أعمّ من الذكر. [1]

القسم الثاني: ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر شبيها له

هذا النوع من " الذكر والحذف " يذكر في موطن ما لا يذكر في موطن آخر يبدو شبيها به، وليس عدم ذكره من باب الحذف، وإنّما هو قد يزيد لفظا أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق أو يستدعيه المقام[2].

ومن أمثلة لطائف الذكر والحذف قوله تعالى في سورة التوبة: « وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[3] .

ويقول في نفس السورة أيضا: « وُقْلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » [4].

فزاد في الآية الثانية قوله: (والمؤمنون) بخلاف الآية الأولى وذلك أن الآية الأولى في المنافقين وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ولا يعلم المؤمنون بهم إلاّ من

[1] - المرجع نفسه.
[2] - السامرائي، التعبير القرآني، ص 97.
[3] - التوبة، الآية: 94.
[4] - التوبة، الآية: 105.

أطلعه رسول الله عليه، فلم يقل: (والمؤمنون) لأنّ المؤمنين لا يرون أعمالهم. بخلاف الآية الثانية فإنها في طاعات المؤمنين وهي ظاهرة للجميع ففرّق بين الجماعتين.

جاء في الكشّاف في تفسيره للآية الثانية: ((وقل) لهؤلاء التائبين، (اعملوا) فإن عملكم لا يخفى – خيرا أو شرا – على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم...وقوله (فسيرى) وعيد لهم، وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة)[1].

كما جاء في تفسير الطبري لهذه الآية أيضا: (يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وقل) يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك، (اعملوا) لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه، (فسيرى الله عملكم ورسوله)، يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون في الدنيا، (وستردّون) يوم القيامة إلى من يعلم سرائكم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها، (فينبّكم بما كنتم تعملون) يقول فيخبركم بما كنتم تعملون، ما منه خالصا وما منه رياء، وما منه طاعة وما منه لله معصية، فيجازكم على ذلك كلّه جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته)[2].

فالآية الأولى تتحدث عن طائفة المنافقين، قال تعالى: « يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمُ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ، قَدْ نَبَأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ».

والآية الثانية تتحدث عن طائفة المؤمنين فقال تعالى: « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ صَلَوَاتُكَ سَكَنٌ لَهُمْ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَوَابُ الرَّحِيم، وَقُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنُونَ ».

لم يذكر الله تعالى في الآية الأولى: (والمؤمنون) وذكرها في الآية الثانية لأن هذه الأخيرة جاءت في طاعات المؤمنين على عكس الأولى التي تتحدث عن المنافقين الذين

[1] - الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 90.

[2] - الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج 14، ص 463.

يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ولا يعلم المؤمنون بهم إلاّ من أطلعه رسول الله عليه فلم يقل: (والمؤمنون) لأن المؤمنين لا يرون أعمالهم.

(جاء في (البرهان) للكرماني في هاتين الآيتين أن الآية الأولى في المنافقين، ولا يطلع على ما في ضمائرهم إلاّ الله تعالى، ثم رسوله بإطلاع الله إيّاه عليهما لقوله تعالى: « قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ » والثانية في المؤمنين وطاعات المؤمنين وعاداتهم ظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين، وختم آية المنافقين بقوله: (ثُمَّ تُرَدُّونَ) فقطعه عن الأول لأنه وعيد. وختم آية المؤمنين بقوله: (وسَتُرَدُّونَ) لأنه وه عد فبناه على قوله: (فَسَيَرَى اللهُ))[1].

ومن لطيف الذكر الذي يقتضيه قوله تعالى: « وَلاَ تَكْتُمُوا الشَهَادَةَ، وَ مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ... »[2].

لم يكتف بقوله (إنه آثم) بل ذكر القلب وقال (آثم قلبه).

يفسّر الزمخشري هذا الذكر للقلب بقوله: (فإن قلت: هلاّ اقتصر على قوله: (فإنه آثم) ؟ وما فائدة ذكر القلب ؟ قلت: كتمان الشهادة: هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه، لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني، ومما عرفه قلبي، ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كلّه، وإن فسدت فسد الجسد كلّه، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف ما كان فيه، ولئلا يظن أنّ كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أنّ القلب أصل متعلقة ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصل التي تتشعب منها)[3].

والسامرائي لا يختلف عن الزمخشري في تفسيره للآية فيقول عن سبب ذكر القلب) لم يكتف بقوله: (إِنَّهُ آثِمٌ) بل أسند الإثم إلى القلب وذلك لأن الشهادة محلها القلب وكتمانها هو أن يبقيها في قلبه فنسب الإثم إلى القلب وهو تعبير بديع)[4].

[1] - السامرائي، التعبير القرآني، ص 118، 119.
[2] - البقرة، الآية: 283.
[3] - الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 517.
[4] - فاضل السامرائي، المرجع نفسه، ص 121.

5. التشابه والاختلاف:

إنّ ظاهرة التشابه والاختلاف بين تعبيرات القران الكريم وآياته كالاختلاف في حرف أو في كلمة اختلاف مقصود توجه بلاغته العناية الإلهية التي أحاطت بكل شيء علما. فكلما استمعت إلى ترتيل القرآن وجدت في تركيبه جمالية لا تجدها في غيره من النصوص الشعرية أو النثرية وازددت إيمانا راسخا بأنّه ليس من قول بشر أو جنّ علا قدرة، وسما شأنا، ومن مثل هذا العجب في القرآن الكريم: استعمال لفظ " مكة " و " بكة " لأم القرى في قوله تعالى: « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدىً لِلْعَالمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامَ ابْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَللهِ عَلَى النَّاسِ حَجُ البَيْتِ مَنْ اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالمِينَ ».[1]

في حين قال في موضع آخر: « هُوَ الذِّي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللهُ بمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ».[2]

فما سبب إظهارها مرّة بالميم – وهو الاسم المشهور – ومرّة أخرى بالباء ؟.

أجاب السامرائي على هذا التساؤل بتفسيره الآية 97 من سورة آل عمران فقال أنّ كلمة بكة (ذكرت بالباء لأن الآية في سياق الحج « ولله على النّاس حج البيت » فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبّك النّاس بعضهم بعضا، أي يزحم بعضهم بعضا، وسميت بكة لأنهم يزدحمون فيها بخلاف القصد في آية الفتح، فجاء بالاسم المشهور لها: (مكة) بالميم فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه).[3]

اشترك الدكتور السامرائي في تفسيره لهذه الآية مع ما جاء به الزمخشري في كتابه الكشّاف وهو أن كلمة "بكة" تعني الزّحام. لكن الزمخشري زاد على هذا بأنّ مكة سميّت بكة لأنّها تبّك أعناق الجبابرة أي تدّقها. فقال في تفسير للآية: (« للَّذِي بِبَكَةَ » : البيت الذي ببكة، وهي علم لبيت الحرام، ومكة وبكة لُغتَانِ فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء، ونحوه من الاعتقاب: أمرٌ رَاتِبٌ وَرَاتِمٌ، وَحُمَى مُغْمِطة ومُغْبِطة، وقيل:

[1] - آل عمران، الآية: 96، 97.
[2] - الفتح، الآية: 24.
[3] - بنظر فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص 173.

مكة البلد وبكة موضع المسجد، وقيل باشتقاقها من بكة أي الزحمة لازدحام الناس فيه... وقيل تبّك أعناق الجبابرة أي تدّقها).[1]

فالحجاج يتباكون في بكة، وهناك من يقول أنّها سميت مكة لأنها مشتقة من (المكّ) وهو الامتصاص، كقولك: مكّ العظم أي امتص مخه وسميت مكة بذلك لأنها تمك ذنوب الحجاج التائبين وتمتصها وتذهبها، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وجمال تعبيره، فجاء بكل كلمة في السياق الذي يوافقها.

ومن ذلك أيضا ما جاء في قصة سيدنا موسى عليه السلام في سور متعددة في القرآن الكريم، فهناك تشابه واختلاف في التعبير لنفس القصة في سورتين مختلفتين فالقصة واحدة لكن التعبير يختلف بحسب السياق.

قال تعالى في سورة البقرة: « وَإِذَ اِسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنَا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ، كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ».[2]

وقال في سورة الأعراف: « وَقَطَّعْنَاهُمْ اِثْنَتَيْ عَشَرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا، وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ اِسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنَا قَدْ عَلِمَ كُلُ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ المنَّ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ».[3]

الملاحظ لهاتين الآيتين يرى أنّه قال في سورة البقرة « اِنْفَجَرَتْ» وفي سورة الأعراف « اِنْبَجَسَتْ » والانفجار غير الإنبجاس. فإنّ الانفجار هو الانفجار بالماء الكثير والإنبجاس هو الماء القليل، والسؤال ماذا حدث فعلا هل انفجرت أم انبجست ؟.

(والجواب: كلاهما. فحسب ما يقول المفسرون أن الماء انفجر أوّلا بالماء الكثير، ثم قلَّ الماء بمعاصيهم...في سورة البقرة ذكر الثناء والمدح والتفضل على بني إسرائيل فجاء بالكلمة التي تدّل على الكثير فجاءت كلمة "فَاِنْفَجَرَتْ". أما في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الإنبجاس وهو أقل من الانفجار، وهذا مشاهد، فالعيون والآبار

[1] - الزمخشري، الكشّاف، ج 1، ص 586.
[2] - البقرة، الآية: 60.
[3] - الأعراف، الآية: 160.

لا تبقى على حالة واحدة فقد تجّف العيون والآبار فذكر الانفجار في موطن والإنبجاس في موطن آخر، وكلا المشهدين حصل بالفعل).[1]

فذكر حالة في سياق التكريم وحالة في سياق الذم فاختار كل تعبير حسب السياق الذي ورد فيه، وهو ما تقتضيه البلاغة.

توسع الدكتور السامرائي في تفسيره لهاتين الآيتين وركز على كلمتي الانفجار والانبجاس. فنجده في كتابه (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) يعطي جملة من الأسباب الداعية – في نظره- لهذا الاختيار:[2]

- أنّ موسى عليه السلام هو الذي استسقى في سورة البقرة « وَإِذْ اِسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ » فناسب إجابته بانفجار الماء، في حين ذكر في سورة الأعراف أنّ قومه هم الذين استسقوا موسى: « إِذْ اِسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ » والحالة الأولى أكمل، فناسب إجابته بانفجار الماء دون الثانية.
- قال في سورة البقرة: « فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِعَصَاكَ اَلْحَجَرَ » أي: أن الله قال ذلك لموسى قولا، في حين ذكر في الأعراف أنّ الله أوحى إلى موسى بذلك وحيا « وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى » والحالة الأولى أكمل وأتم، فإنّ القول الصريح من الله أكمل وأقوى من الوحي، فناسب ذلك ذكر الانفجار في البقرة و الانبجاس في الأعراف.
- قال تعالى في سورة البقرة: « كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ » فجمع لهم بين الأكل والشرب ولم يرد في الأعراف ذكر الشرب، فناسب ذلك أن يبالغ بذكر الانفجار بالماء في البقرة.
- أنّ الله أسند القول إلى نفسه في سورة البقرة: « وَإِذْ قُلْنَا اِدْخُلُوا هَذِهِ اَلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغدَا » في حين بنى القول المجهول في الأعراف: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اِسْكُنُوا هَذِهِ اَلْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ » وإسناد القول لنفسه يكون في مقام التشريف والتكريم بخلاف البناء للمجهول، فناسب في مقام التكريم ذكر الانفجار بالماء دون الانبجاس.
- إنّ القصة في البقرة وردت في مقام تعداد النعم على بني إسرائيل وفي مقام تكريمهم: « يَا بَنِي إسرائيل اِذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَلْتُكُمْ عَلَى اَلْعَالَمِينَ »[3].

[1] - فاضل السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، ص 54.
[2] - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير اقرآني، ص 125، 126.
[3] - البقرة، الآية: 47.

هذه الأمثلة وأخرى تظل قطرة في بحر البيان القرآني المعجز، فهو كتاب الله، كتاب أحكمت آياته، نظم تأليفه من لدن خبير حكيم، فسما فوق كل تعبير، وأحاط بعلوم البلاغة كلّها روعة وبيانا فوق مخيال الأساليب البشرية كلّها. فتعالى الله ربّ العالمين.

الخاتمة:

" اللهم ارزقنا حسن الخاتمة "

الحمد لله الذي أعانني على إنهاء هذا البحث، أسأله تعالى القبول الحسن و أن يغفر لي تقصيري.

فبعد هذه الرحلة الممتعة في كتاب الله العظيم من خلال أمثلة قرآنية في بحثنا الموسوم ب: **"التفسير البياني للقرآن الكريم. كتاب التعبير القرآني للسامرائي أنموذجا"** توصلنا إلى النتائج التالية:

- التفسير البياني للقران الكريم نشأ بمراحل عدّة من بروز الفكرة ثم تحولها الى علم ثم تحولها الى منهج .
- إنّ الله عزّ و جلّ يقيِّدُ لكتابه الكريم في كلِّ عصرٍ من يُبيِّنُهُ و يفسره حسب الزمن الذي يعيش فيه فيفتح له من كنوز هذا الكتاب العزيز.
- الدكتور فاضل السامرائي من أبرز المحدثين العراقيين الذين تحدثوا عن التعبير القرآني و أبرزوا بعض جوانب أسراره المعجزة بدليل كثرة مؤلفاته التي تتناول هذا الموضوع. و أهمّ هذه المؤلفات كتابه التعبير القرآني الذي أضاف فيه لمسته الخاصة و هي التعليل لأسرار التعبير القرآني مع ضبطه منهجية خاصة في تناوله للتفسير البياني.
- لقد أنعم الله على الدكتور السامرائي بحبِّ النّاس و قبولهم لآرائه و تأثرهم به فأحبّوا كتاب ربّهم من خلال لمساته البيانية.
- جاء التعبير القرآني في صورة عالية البلاغة و بأُسلوب معجِز لا يرقى إليه كلام، فكان نمطًا فريدًا لا يُدانى لا من قريبٍ و لا من بعيد، له خصوصية متميِّزة في التقديم و التأخير ، و الذكر و الحذف و التشابه و الاختلاف كانت بعيدة المنال عن النحويين و البلاغيين سواء كانوا قدماء أو محدثين.

"" اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ ص وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ""

[النساء: 82]

و آخِرُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون

وسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِين

و الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾

قائمة المصادر و المراجع

- القران الكريم

المصادر:

- الزمخشري، الكشاف ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، ج1، ج2 ، ج3، ج4، 1998م.
- الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، ج5، ج14.

المراجع:

- جعفر السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، لبنان، ط1،1985م.
- جمال الدين الفاروقي، الإعجاز البياني للقرآن الكريم.
- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط5، ج1، 1977م.
- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، عام 1971م.
- عليعلي توفيق زبادي، بحوث وصفية للأوجه المتجددة لبيان القرآن وإعجازه، مركز بحوث القرآن، جامعة مالايا، بماليزيا، 2012م.
- فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ج1، 2002م.
- فاضل السامرائي، التطور اللغوي والتاريخي، دار الأندلس، عام 1997م.
- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، دائرة المكتبة الوطنية، الأردن، ط 4، عام 1998م.
- فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط2، 2001 م.

- فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع البيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2008م.
- محمد الرازي، تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر، لبنان، ط1،1981م.
- محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، مصر، ط2، دون سنة.
- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني، مجمع البحوث الإسلامية ، مصر، 1981م.
- محمد كريم الكواز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2006م.

من الأنترنت:

- إسماعيل الجرفي، الإعجاز البلاغي، موقع جامعة الإيمان، www.jameataleman.org
- برنامج لمسات بيانية قناة الشارقة، الحلقة 127.
- شبكة مشكاة الإسلامية، نبذة عن كتاب الكشاف للزمخشري من الإنترنت الموقع: www.almeskat.net
- موقع التبيان، الأربعاء 11 جوان 2014 على الساعة 08:30 www.Tebyan.net
- موقع القرآن لك www.qu4u.net يوم 2013/06/17 على الساعة 06:00
- موقع الوعي http :alwaei.gov.kw/site/pages/childrendetails.aspx
- ويكيبيديا الإخوان المسلمين.

الفهرس

المقدمة ..... أ

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه ونطوره.

المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم أولية.

تعريف البيان 05

تعريف البيان القرآني 06

تعريف التفسير 07

تعريف التفسير البياني 09

ضوابط التفسير البياني 10

خطوات التفسير البياني 11

المبحث الثاني: التفسير البياني « نشأته وتطوره »

بداية التفسير البياني (ظهور الفكرة) 13

محمد صلى الله عليه وسلم أول مفسري القرآن 13

عمر بن الخطاب 14

عبد الله بن عباس 15

مجاهد بن جبر 17

انتقال فكرة التفسير البياني إلى علم التفسير البياني 18

اتساع وشمول التفسير البياني 20

بعض ملامح التفسير البياني 21

الفرق بين التفسير البياني والإعجاز البياني 24

الفصل الثاني: التعبير القرآني عند فاضل صالح السامرائي

المبحث الأول: السامرائي ومنهج الدراسة البيانية

نبذة عن حياة الدكتور فاضل السامرائي 27
لمحة عن كتاب التعبير القرآني 28
التعبير القرآني وليس الإعجاز القرآني 30
منهج السامرائي في التفسير القرآني 31
منهج السامرائي في دراسته للتعبير القرآني 33
لمسة السامرائي في التعبير القرآني 35

المبحث الثاني: الدرس البياني في كتاب التعبير القرآني

التعبير القرآني 37
البنية في التعبير القرآني 39
التقديم والتأخير 43
الذكر والحذف 49
التشابه والاختلاف 56
الخاتمة 60
قائمة المصادر و المراجع